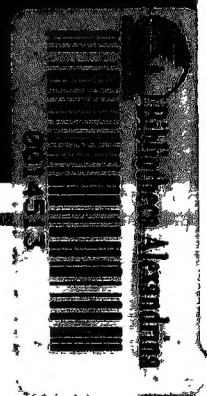


غادة السَّمان كتب



عُبَّ

لوحات الكتاب بريشة الفنان الكبير
رفيق شرف

المشرف الفني : نبيل البقيلي
تصميم الغلاف والمخطوط : الفنان حسين ماجد
لوحة الغلاف الأول : للفنان هنري روسو
صورة الغلاف الأخير : المؤلفة ، بكاميرا الفنان حسن حوماني

غادة السَّان

حُبِّسْ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة
منشورات غادة السمان

بيروت - ص . ب ١٨١٣ ١١
تلفون : ٣٠٩٤٧٠
٣١٤٦٥٩

الطبعة الأولى : ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣
الطبعة الثانية : ايار (مايو) ١٩٧٤
الطبعة الثالثة : نيسان (ابريل) ١٩٧٧
الطبعة الرابعة : كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩
الطبعة الخامسة : كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠
الطبعة السادسة : تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨١
الطبعة السابعة : شباط (فبراير) ١٩٨٣
الطبعة الثامنة : ايلول (سبتمبر) ١٩٨٥
الطبعة التاسعة : آذار (مارس) ١٩٩١

أهدي هذا الكتاب ،
الى كل الذين كان يمكن أن أحبهم لو عرفتهم .
الى الرجال الرائعين ، المجهولين
والمدن النائية التي لم أطأها ،
والجبال ، والنجوم ، وكائنات الطبيعة العظيمة المفترسة والأليفة التي
لم أمرّ بها ،
الى الأنهار ، والغابات ، والثلوج وشروق الشمس في قرى لم أزرها...
الى كل أولئك الذين كان يمكن أن أحبهم لو عرفتهم ...

غاده

مقدمة

يا من تقرأ سطور هذا الكتاب ،
إنك ترحل الى قلبي ،
تجول في ركن منسي من زواياه .
ومع كل صفحة تطويها ، تفتح باباً الى كهف الماضي .
وكلما قلبت الصفحات ، كلما أوغلت في أحشاء زمني الضائع .
فلحظات الحب - التي تلقي القبض عليها سطور هذا الكتاب - ارتأيت
أن ارتبها ابتداء من الحاضر ، وعودة تدريجية الى الماضي ، ماضي قلبي
منذ خفقات المراهقة الأولى .
وأعترف بأن بعض ما ورد في الكتاب سبق نشره باسم مستعار ،
والباقي باسمي (الشرعي) .
واعترف بأنني قد لا أكون (معجبة) بكثير مما يضمه الكتاب خصوصاً
في (كتاباتي) الأولى القديمة ، لكنني ارتأيت أيضاً نشرها كما هي دون
أي تعديل أو تحوير . وهو موقف قررت اتخذه نهائياً بالنسبة لكل نتاجي
القديم وبصورة خاصة ما خططته في مرحلة المراهقة سواء من قصص أو
خواطر ... وهو موقف اتخذه عدد كبير من الكتاب لدى إعادة طبع

نتاجهم القديم ... وأعتقد أن الاصفهاني لخص الداء والدواء في قوله :
« إني رأيت انه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو
غير هذا لكان أحسن . لو زيد كذا لكان يستحسن . لو قدم هذا لكان
أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر ، وهو
دليل استيلاء النقص على جملة البشر » .

بيروت ليلة ٢٣ - ٨ - ٧٣

لأنني أحبك ..

ها أنت تجثم فوق كل لحظة من لحظات حياتي كما الليل المليء بالأسرار
يجثم فوق صدر المدينة ...
ها أنت تحتل غرف عمري المزدهمة بالرجال والذكريات ، تطرد الجميع
من النوافذ كما الشمس تطرد الأشباح حين تضيء ...
ها أنا امرأة ضجرة تنام سأمًا فوق فراش محشو برسائل الحب التي
كتبها العشرات لها ، ها أنت تأتي تشعل النار في رسائلتي وفي ذاكرتي
وضجري ... لا أملك إلا أن أتبعك عارية القدمين حتى آخر العالم ...
ولكنك يا حبيبي كطائر البرق ، تمر بي سريعاً كالشهقة ... وتمضي ...
وتترك في صدري غيابك مثل سكة محراث تشق صدر الأرض ... مثل
نار تلتهم غابة .

غيابك هو الوجد . حضورك كحضور الأعجوبة ، ما تكاد تأتي حتى
تختفي ، وتخلف في قلوبنا الى الأبد ذكرى حضورها ... حياً كاوياً جديداً
في كل لحظة ..
ها قد استطعت أن تغرس حبك في قلبي ، نابضاً في كل لحظة ،
ومنقار نورس الحب يظل ينقر في القلب ... كل لحظة ... كل لحظة ...

أتساءل : كم يمكن احتمال ذلك ... الحب الفاشل موجع ، ولكن
الحب المتبادل أكثر إيلاماً .. لا شيء يشفي غليله سوى الاحتراق المشترك
أو الموت المشترك ... ولا نملك حتى حق الخيار بينهما ...

أيها الشقي .
لو لم تحبني لاستطعت أن أمسح صورتك في عيني كما أ مسح البخار عن
زجاج نافذة الذكرى .
لو لم تقل لي بحرارة : لقد استطعت أيتها العجيرة أن تنفذي الى ما
تحت جلدي .. الى أعماقي ...
اوه أيها الشقي ...
ليتك لم تحبني ...
ليتني لم أنقذ الى ما تحت جلدك - كما تقول - .
فقد صرت اليوم سجيناً جلدك وأعماقك ...
لم أعد أملك إلا أن أنبض مع عروقك ... أتدق فيك ، أحيا وسط
تياراتك الداخلية ...

إذا غضبت ، كان العالم هو الغضب . وإن فرحت أرقص فرحاً تحت
جلدك ... وإن رحلت ، ترحل ذاتي عني معك ... وتحلفني في صمت
الليل مثل صدقة ينوح فيها الصدى ، مثل هيكل فارغ لكائن مات منذ
زمن بعيد ولم تبق سوى قشرته ...
دونك أنا قناع ... حقيقي ترحل معك ... دونك أنا جثة سرية
الموت ، وحياتي تحقق سجيناً ذكراك ، كأجنحة الفراشة تحت كوب
زجاجي .. كف عن حبي .. أتوسل اليك كف عن حبي .. أشتهي
حريتي ... أخرجني من تحت جلدك ومن مسامك .

اوه أيها الشقي ...

ليتك لم تقل لي انك بكيت لأجلي ... انك بكيت كالأطفال وهتفت
باسمي مراراً وسط الليل المقفر وكانت دموعك سائلاً نارياً كاوباً ...
ها دموعك تغرقني ... حزنك يفتني ... مخاوفي عليك ومنك تفور في
رأسي كشعابين الماء السامة ... أية دوامة بعثنا ؟ ... أية مأساة ابتدعنا ؟
أية لعبة شطرنج جهنمية لا تنتهي مارسنا ؟

« احبك » ... « احبك أينها العجرية » ... قلتها لي فجأة وصمت
طويلاً . وصمت أنا أيضاً ... وعرفنا كيف يصير الصمت شعراً ...

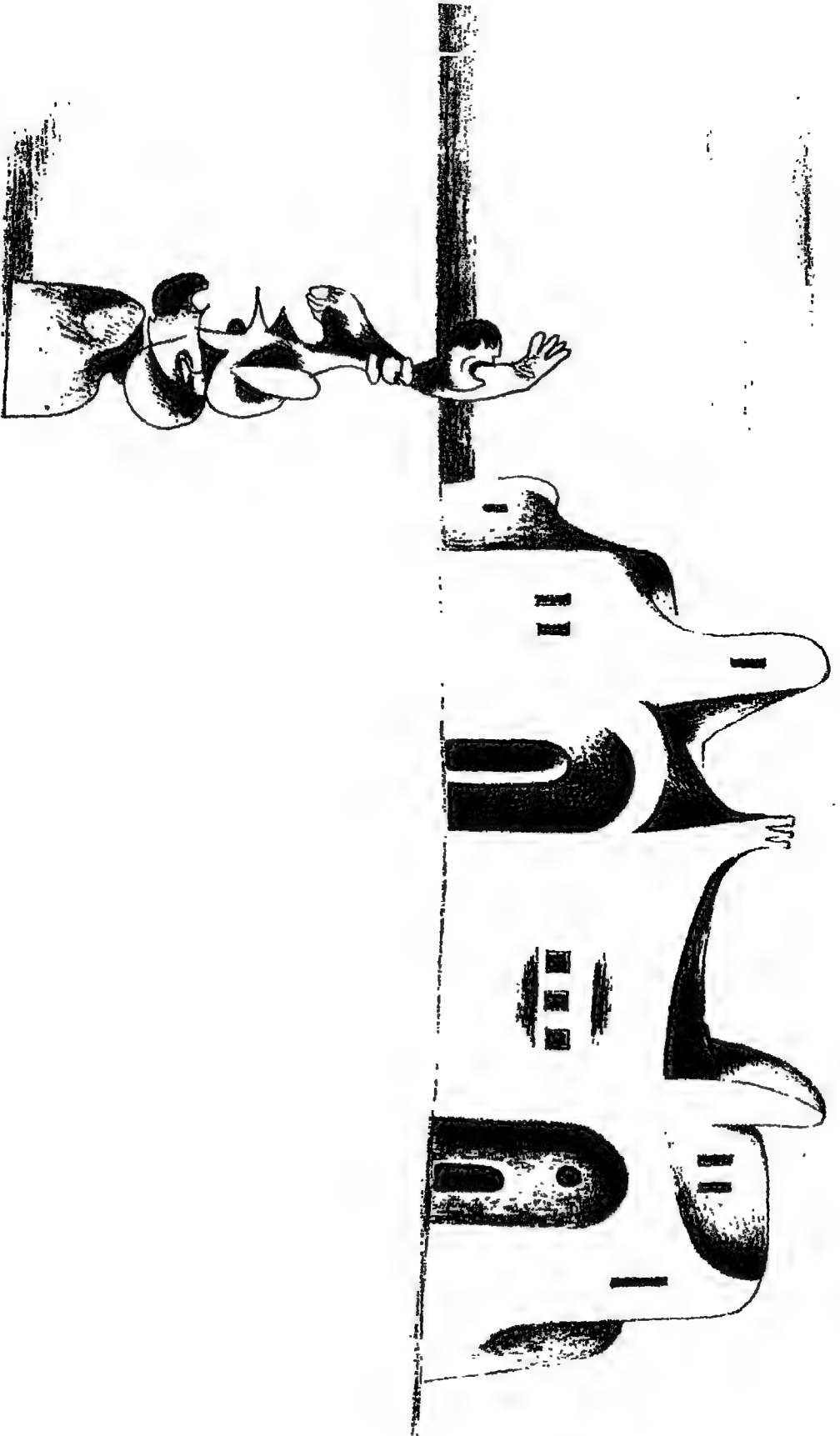
وجذبتني اليك لتختلس قبلة . قطفتها من شعري بسرعة وعدت الى
مكانك في المقعد كأن شيئاً لم يحدث ..
أيها الشقي ... « بعد أن تقطف زهرة من غصن ، يعود الغصن كما
كان . أما القلب ، فلا » ...

سأظل أكتب اليك ...
لأجل أن لا ننسى ،
لأجل انني أحبيتك ،
لأجل انني أحبيت ...

١٩٧٣

فم عنق الزجاجة .. كان لقاؤنا !

بللتني بالليل الحزين الماطر ، وبخنانك ..
وأحييتك ...
وها أنت عيثاً ترحل عن لحم ذاكرتي مثل نصل سكين يغادر جرحه..
ترحل ؟
تغطس في ظلام النسيان ؟..
انطفئي في حياتك كشمعة حاصرتها الرياح ؟
كالعباءة ، للممتك حول جسدي ..
كالكفن ، رضيتك للقليل الذي تبقى لي .
يا حبيبي ،
بالنحل ملأت رأسي ،
بملايين الأسئلة التي لم تكن تخطر لي ببال ...
جسدي لفافات أسلاك شائكة .. كيف استطعت اختراق أسواري ؟
في عنق الزجاجة كان لقاؤنا ...
لا قبل ذلك ، لا بعد ذلك ، لماذا ؟
ماذا أقول لك ،
غير ان قلبي يحصد الحزن بمنجل فراقنا ...



الحزن ،
يزحف إليّ من كهوفه غير المنظورة ،
اسقط تحت سنايكه
اسقط ، اسقط ،
غيابك - الحضور مقصلي ..
اسقط نازفة الجرح السري ..

حيناً .
زهرة الساكورا اليابانية ، تثبت مع الفجر ، وتموت مع الغروب ...
حيناً .
ها أنا أقطر حزناً .
أعضاء جسدي أغصان شجرة تنزف الحزن والمطر والشوق ...
حيناً ،
اعدتني الى عصور الموت حباً ،
الى عصور القروسية ،
والنساء اللواتي يركضن خلف الرجال الأقوياء حتى حدود الحرب
والزلازل ..
اعدتني ،
الى عالم اللغة الملونة ،
الى مفردات كالشوق والانتظار والحنين ، الشوق ، في عتمة الضجرج ،
ماذا تبقي سوى ظلك ؟
افتقدك ،
والافتقاد ... (هل تذكر ..) ..
والافتقاد ، عذاب

كالعذاب الذي أحسه أمام كل الأشياء الجميلة وكل شيء رائع مثلك
هو شيء لا انساني ، ناء ، مستحيل الامتلاك ، كله نحدّ مثل تماثيل
الآلهة العتيقة السرية .. -

أيها الشقي ،
وطيّ معطفك سوط ، وشوارع مظلمة مغسولة بالمطر والخمر الرديء ،
ماذا تملك لي وأنت بعيد هكذا ،
سوى حفنة جديدة من الحزن ، والموت الأخرس ؟

هل تصدق ،
انني استطيت أن أودعك بصمت سندية يقطنها الطير النادر تارة ثم يغيب.
هل تصدق .
انني سأحتضنك بلا مبالاة النسيان ،
سألقاك ، باستهتار السياح في « باص » سياحي واحد ،
سأحييك .
كما المضيقة في طائرة تلقي تحية المساء ، بحياذ وتهذيب ،
هل تصدق ،
ان رحلة الزحف فوق الزجاج المطحون ،
انتهت ،
والوجع بك يحتضر ويلفظ آخر أنفاسه ؟
خالد وجعي بك ،
طويل احتضاري كما النار التي التقطت طرف غابة لامتناهية .
أحبك ...
أي نصر ، وأي هوان
حين تكون بعيداً هكذا ،

وتحتل أيامي بصلف هكذا ،
وأبحث عنك في الشوارع
وأنا أعرف أنني لن أجذك ،
وأبحث عنك بين الوجوه ،
ويدهشني لماذا أحب وجهك ، من بين مئة ألف وجه طالعي هذا
الصباح ...
لماذا أنت ، أنت بالذات ؟..

حتى يأتي صوتك ،
ينهمر كما الاعجوبة ،
كما ألحان « باخ » في الكنائس عبر الارض ،
كما الدمع المختوق في سنوات القحط ،
كما الرسائل المجهولة الموقعة بالدمع وآثار الكحل ،
حتى يأتي صوتك
وتتهادى كل القيم ،
المال ، والحظ ، والآخرون ،
تبقى أنت ،
وخرائط العالم نركض فوقها ...
وسهوب العالم نرحل عبرها ،
وجنا الصادق كطفل ، الهش كطفل ، المليء بالطاقة على الاحتمال
كطفل ،
وتبقى أنت ،
وحبي لك ، كوكب لا ينطفئ ...
فتعال ...

كان يا ما كان .. حب

يا حبيبي
ما أحبينك قط كما أحبك الآن لأنك جعلتني أكفّ عن حبك !
كيف استطعت تحقيق معجزة كهذه ؟..
كيف ، هكذا فجأة انقطع الوتر المشدود الذي كانته أيامي معك ،
ولم تعد ضرباتك توقع عليه غير لحن الصمت اللامبالي ؟
أية فرحة !
أن تشهر سلاحك ؟
أن تحشو غدارتك ، وتمسح الصدا عن أوسمتك ، ونجىء مطالباً بمزيد
من اقطاعية حبنا .. تطالبي بمزيد من الضرائب العاطفية ، ومزيد من
الولاء ؟
وتتهددني كالخليفة :
... أو ، ردي إليّ أيامي ، ردي إليّ أصباغي ولوحاتي وسطوري
وهمساتي ، وكل ما تبقى من تلك الليالي المبحرة في أحشاء الزمن ..
أن تنزلق من قم الصمت الى وحل تقديم كشوف حسابات
لأيامنا وليالينا وهمساتنا المسروقة ؟

أن تجيء جافاً كورقة نشاف لتمتص من عالمي الغامض ما ينخيل اليك
انني لم أمنحه بعد لك ؟
أن تجيء مثل المرابي (شيلوك) لتقتطع من لحم ذكرياتنا (الفائدة)
المرتبة على ما كان ؟
أن تجيء كموظف مصلحة الضرائب ، عيثاً تلم لم بقايا رعشاتك على
قماش لوحاتك المنسية في بيتي ، أيام كانت شرايينك ريشة، ودمك أصبغاً
تريقها في كهوف عمري جدرانيات وفاء ؟
أن يسقط عن أناملك سحر البحث الصادق عن يقين (أناملك التي
كانت ترتعش في غوض عالمي كأنامل عاشق أعمى يبحث في الزلزال عن
وجه حبيبته بين آلاف الوجوه النازقة والهامدة) ؟
أية فرحة ! أية فرحة أن يدور ذلك ! (كنت ستظنني أقول : أية
فجيعة ؟) ... أمام المعجزات ، أيأ كانت ، هنالك دوماً فرحة ...
حيي لك لم يكن المعجزة . المعجزة انني كفت عن ذلك ...

أية فرحة !
فأنا منذ كان الزلزال الرائع ...
أي منذ التقيت بعينيك الضالتين ، وصار ذراعاك مجذاني ، وصدرك
مركبي ، وهذيانك بوصلتي ، لم أقل لك قط انني أحبيتك ...
ولم أقل لك قط انك ظلت طيلة ايام وليال هاجسي وعذابي وطموحي
ومقبرتي وحلمي منذ كانت تلك اللحظة الحلم - المجزرة ..
كلمة أحبك أحسستها مدنسة ومهترقة مثل عتبة خمارة رخيصة يدوسها
الجميع ولم أقلها ... ولن ...
وها أنت ،
تخلعني عنك كما يخلع المالك الجشع عن داره مستأجراً كفّ عن دفع
قيمة الايجار ...

أن أقطن في صدفة حبك السحرية ، مقابل أن أقول لك كلمة مهترئة
هي «أحبك» ؟... لن أدنس عطائي ، ولو غادرت الصدفة ، وأبحرت
من جديد وحيدة في ظلمات بحار الغربة وكآبة مغاورها المسكونة بكائنات
الرعب والصمت ..

آية فرحة ...

أن أكتشف ان البركان الذي أضاء عالمي وألهبه لم يكن سوى جبل
طاف من الثلج مر ببحر ضياعي ، فكان لسع الجليد للوهلة الأولى كلسع
النار ...

آية فرحة ...

أن تنطفئ الشمس في عينيك ، وينتق كوكبي عن تيهه المخمور
في مدارات عمرك النائية ..

آية فرحة ..

أن تلملم عن جسدي (الذي كان حتى عرفتك كوخاً مهجوراً يسكنه
عنكبوت الضجر) بصماتك ورماحك وفيضاناتك ...

آية فرحة ..

انك لم تعد وشمأ فريداً لا يحى فوق لحم ايامي ... غامضاً كنقوش
أقوام منقرضة ... مليئاً باللعنة كجوهرة سوداء في موضع عين مومياء
فرعونية ..

آية فرحة

انك أغمدت حقدك في صدري أعمق مما أغمدت حبك .. وانني لن
أقضي بقية عمري أبكي وثنك الذي لم يكن سوى فزاع طيور محشو بالقش
منصوب بحقل مررت به مرة في ضوء القمر ...

وخطوط كفك التي كانت أبداً خارطة عالمي ، ودروب ضياعي التي
لا أملك إلا أن أركض فيها وحيدة ، ألمم ذاتي عن أرصفتها المفروشة
بالثلوج والظلمة والرجال المخمورين ، عادت لتصير مجرد كف أخرى من

ملايين أيدي الرجال ... ولم يعد صعباً علي أن أصدق امكانية ارتدائك
لقفازات ... (القفازات لا تلفها القفازات) .. وملامح وجهك شبه
الغاضبة شبه العاتية أبدأ للذنب سري لم أرتكبه، لن أقضي بقية ايامي أحل
الغاز كلماتها المتقاطعة ، ولن أجوس فوقها بشفتي ولن أغسلها بدموعي
علي أعثر علي الكلمة المفتاح ...

صرت أعرف الكلمة المفتاح .

انها الكلمة نفسها . « رجل » . ولكنه سيكون هذه المرة رجلاً
« آخر » ! ...

أية فرحة يا حبيبي ، أن تكف عن ان تكون حبيبي ، دون ان تدري
قط كم وكنت حبيبي !

لا تعد . فحبي ليس مقعداً في حديقة عامة ، تمضي عنه متى شئت،
وترجع اليه في أي وقت . لا تعتذر . فالرصاصة التي تطلق لا تسترد .

١٩٧٣

لأنّ الحرية خبز الغجر

يا غريب ...
أنا « فتاة الاوتوستوب » .
جسدي حقيرة سفري .
شعري وسادتي .
أصابعي أقلامي وشموعي . شراييني مجبرتي ، ونزفي المستمر سطوري ...
لعل أمي كانت غيمة مسافرة .
أبي كان سيفاً من برق .
عرسها كان عاصفة ورعداً ، وكان أن نبتت أنا .
كالكمأة على شراع مرمي في محيط الوجود الغامض ، محكوم أبداً
بالرحيل من حيث لا يدري وإلى حيث لا يدري ..
أنا « فتاة الانوستوب » . استقررت نهائياً في ارجوحة اللااستقرار ...
عجربة بلا مرفأ . لا أبحث عن المرفأ إلا كي اضيعه . مرصودة للرحيل
والغربة . أبداً ضالة ولا مبالاة ونائية كقارة ابتلعها المحيط ...
زائغة كامرأة من زئبق ... حزينة ومشتتة كأهداب عين اقتلعت
للتو .

لا أفهم توقيتاً إلا ما تفهمه الطيور المهاجرة من ساعة (بينغ بن) لو
حطت عليها. ذات مرة لتستريح .. لا أعرف عن النظام إلا ما تعرفه
الأرانب عن آداب الطعام .

أنا عجريه ، ولأن الحرية خبز الغجر ،
هل يستطيع حبك أن يكون خبزي وحرיתי ؟

١٩٦٩

شئبي اسمه .. الحب

اعرف يا حبيبي ، يا زين أشداء هذه المدينة ، يا أوسم رجالها ،
وأفتاهم ، وأفتكهم ...
أعرف أنهم يسألنك عني ، عن تلك الغريبة ، القادمة من حقول الكستناء
خلف الجبال مع الريح الدافئة . تلك النحيلة الشرسة كالقطط السيامية
المتوحشة ،
يسألنك عني ،

من أنا ؟ وما أنا ؟ أي سر أخفي ، أية تعويذة أحمل لأجتليك إلي ..
لأسورك بجسدي ، وتسورني بجسدك ، ورغم سياط الألسن الحاسدة
والناصحة والمذهولة والمباركة والباحثة عن تفسير ، رغم سباقها إلى رجمننا
ورغم كل شيء ، أقف وإياك منذ أشهر في ساحة المدينة ، متماسكين
متمازجين جسدين في جديلة واحدة ، لها خيلاء نحلة شاهقة متفردة في
صحراء من القحط ..

يا حبيبي يا زين الشباب الذي يعرف كيف يتمتع ويستمتع بالشباب ،
قل لصبايا مدينتك العجائز ، اللواتي يثرثن وينقن في العقد ، كساحرات
العصور الوسطى ،

قل لعوانس مدينتك - عوانس نفسياً - رغم زيجاتهم المتعددة ومواهبهن
في التفريخ كالآرانب ، قل لأئدائهن المتهذلة كالضروع ، لأنها تسكب
اللبن فقط من دون الحنان أو حتى الشبق ،

قل لمن - أدلك عليهن . نقابتهن قرب نقابة الجزارين . يرتدين
قفازات الدانتيل وألستهن سكاكينهن - قل لمن ، هنالك شيء لا تعرفه
يا سيداتي السادة ، واسمه « الحب » ..

قل لمن يا حبيبي يا زين الشباب ، الحب يأتي - حين يأتي -
كالزلازل : لا يطلب جواز سفر ولا تأشيرة دخول . ولا يطلب يد
الأرض من سلطاتها الرسمية !..

قل لمن يا حبيبي يا زين الشباب ، الحب يتفجر حين يتفجر كالبركان :
لا يطلب اذنًا بالإقامة !... أو اجازة تنقيب .

قل لمن : الحب يتدفق كالسيل ، لا يتوقف أمام أضواء المرور
الحمر ، ولا يسمع صفارات الحرس ، ولا يبالي بإشارات السير (ممنوع
المرور . طريق مسدودة . منحدر خطر ..) وإنما يحرفها كلها في طريقه...
ويعمضي ...

قل لمن يا حبيبي ، يا زين أشداء هذه المدينة وأفتاهم .
الحب كالعاصفة ، لا تميز حين تفتح بيتاً بين الدخول من الباب أو
من النافذة ، ولا تعرف ان قرع الجرس لا اقتلاع السقف هو وسيلة
الدخول ... وقل لمن يا حبيبي :

الحب كينبوع يتفجر في حضن صخرة ، دون ان يسأل (دائرة

الطابور (والشؤون العقارية في أرض من تقع هذه الصخرة وهل هي أرض
بور أم ملك مسور أم وقف أميري ...

قل لمن : الحب فارس اسطوري مصاب بفقدان الذاكرة ... عبثاً
يعي من الوجود حوله أي شيء يتجاوز حكاية حبه ... ولكن مملكته بحار
عجيبة الملذات ، لا يقتطفها إلا الجريء ، المستسلم لسقوطه الى القاع ...

قل لمن يا حبيبي
كانت تلك الغريبة ، لا تحمل ميزاناً ولا جداول جمع وطرح ولا
تهوى جمع الطوايع ودفاتر الشيكات ... ولا يرافقها مراب عتيق يعقد لها
الصفقات . ولا تعرف ألعاب الحواة ، ولا تتقن فنون راقصات السيرك.

قل لمن : أحبتي ببساطة تماماً كما تنفس . ولذا كانت تمنح دون ان
تدري ، كما تستسلم أدغال الأعماق لصيادي اللؤلؤ والمرجان .. وكانت
تأخذ كما تمنح دون ان تدري ، كما تمتص أخاديد التربة التي شققها هيب
الصيف أول زخة مطر تحملها الريح .. دون ان تسأل الغيمة : من اي
قطر جاءت وحتام تظل قادرة على الاستمرار في الإمطار فوق حقولها ...

حدثن يا حبيبي عن مملكة الحب ، ذلك الفارس الاسطوري المصاب
بفقدان الذاكرة ...

حدثن عن بحاره الدافئة اللزجة الملونة ، تضمني إليك وأضملك إليّ
ونستسلم للسقوط بلا خوف من القاع .. نتساق القاع بلا وجل من دوار
الأعالي .. نسقط معاً .. نتمسك بحشائش البحر .. أرقص عارية مع

عشرات الأسماك الهائلة التي تتلوى. معي .. تلتف حولي ، تنزلق فوق
جلدي وتزرع الجمر بين عظامي ولحمي ...

ونرقص صلاة وثنية عجيبة الايقاع ، مجنونة الصخب تسخر من رتابة
راكبات الموادج ... في القاع الحار الملون المزروع بالمرجان واللؤلؤ ،
أرقص وإياك عارضة مع ملايين الأسماك ، المستلة كالسيوف المنتصبة ،
كالرماح الافريقية في دغل يغلي بالثورة وأبخرة الحر المتصاعدة من الشقوق.
قل لمن كيف نركض ، يبدأ بيد في القاع دون أن تغادر مكاننا ،
فتتحد ، ويغلي كل من حولنا ، وتتفجر اغانٍ مجهولة غامضة الصراخ
والضحك والشهيق والانتحاب كأغاني عرائس البحر الحبيسة منذ عصور
في كهوف غيلان الأساطير .. نركض دون أن تغادر مكاننا .. أقول لك
اني اطارد طيراً غامضاً لا أعرف اسمه ، وتقول لي انك تطارد مغارة
فارية الشقوق تفتح على فوهتها ورود قانية الحمرة ، وقبل أن تقول لي
اسمها ، يأتي تيار النار الكاوي من أعماق أعماق ذلك البحر الهائج الغامض..
يأتي تيار النار الكاوي محملاً بالخشب والغزارة والنشوة التي تشبه الألم ،
ألم لذة الحصاد على حد المنجل .

ونسجد لتيار النار الكاوي ... ثم هدوء مذهل يلف البحار ، ليل
مدهش السكينة يسربلنا ، هدوء دامع متعب كهدهود أول فجر طلع على
نوح بعد انحسار الطوفان.. وفي عينيك يمتد غصن زيتون يمسح عن وجهي
عرق الفرح والتجدد ..

قل لمن ذلك الرحيل في النار الكاوي له قارب واحد اسمه الحب

— ومجدافان هما انسانان أحبا — وتلك معجزة في مدينتنا دونها المشي
على الماء !

قل لمن أيضاً اننا كنا نعرف سلفاً ان اسم هذا التيار الكاوي هو نهر
اللارجوع ... واننا أبجرنا ونحن نعرف انه نهر اللارجوع .. وهذا أهم
ما في الحكاية ..

لا .. قل لمن باختصار ، وهن يلتفن حولنا ليرجمتنا .. كانت امرأة
ربما ككل النساء ..
وكنت رجلاً ربما ككل الرجال ...
لكننا أحبيناً حقاً ..

وهذا هو الفارق الوحيد. انه الخيط الرفيع كالشعرة الذي يفصل بين
ملكوت العالقة ، ومستنقع الأقزام ... بين أن نكون أحياء ، أو مومياءات
متحركة بفعل نوابض — زنبركات — اسمها المجتمع !

لا ، لا تقل لمن شيئاً من هذا ، والا كنت كمن يلقي أشعار
شكسبير على قطع من ضفادع الغدير ويغاواته وسحاليه وحرادينه ! ...

لا ، لا تقل لمن شيئاً ..
وعن صدرك سأنهض لأرجم كل من لا يحب ... سأرد عليهن بلغتهن
الوحيدة، لأن من لا يحب ، لا يعرف القراءة ، ولا الكتابة ، ولا الصلاة،
ولا الفرح ، ولا العطاء ، ولا المدنية ، ولا حتى اشعال النار ولا حتى
أول مبادئ العصر الحجري الانسانية : حضارة آدم وحواء ...

عن صدرك سأنهض ، لأرجم كل من لا يحب .
ولكن يا حبيبي ليس لدي ثانية واحدة أضيعها بعيداً عن صدرك
وأهدرها في رجمهم ، - فنحن لا نملك إلا اللحظة ، بلا بارحة ولا
غد - ، يا حبيبي يا زين الشباب ..

١٩٦٩



.. يا غريبي !

يا غربي الذي سيعود غريباً ...
كصدى جرس ضخيم صدىء لكاتدرائية عتيقة ، يقرع ذات فجر
رمادي بارد ، حزناً على طفل شارد ، جمده الصقيع وغسلته العاصفة ،
(طفل قد يكون اسمه حبنا) ، كذلك كان وقع كلمات رسالتك الأخيرة
في نفسي ...
كلماتك الصادقة ، المحبة ، الوفية الصافية ، الواعية ، النازقة صدقاً
منذ مطلعها ... « الى التي ما أحبيت سواها بهذا المدى » ...
لو قلت لي : الى التي ما أحبيت سواها واكتفيت ، ولم تتبعها بقولك
« بهذا المدى » ، لغضبت من مجاملتك المفضوحة ، ولوجدت في سداجة
صنارة الأكذوبة ما يحول بيني وبين ابتلاع طعامها الشهوي ...
وكم ازددت إعباراً لك وتعلقاً بك وأنا أركض بمشاعري على حروفك
المكهربة بصدقها الممدودة على السطور أبجدية من الأسلاك الشائكة أزحف
فوقها بصدري العاري ...
أن تسقط جدران التمويه هكذا فجأة ، وان نخلع أقنعتنا وان اشاركك
ارتكاب الجريمة ، جريمة ان نقول الصدق ، جريمة ان نواجه الحقيقة ،
جريمة (بروميثيوس) ... - ولتغفر لي ولك مناقير نسور العقاب

— تلك هي بداية الحب — المأساة — الأسطورة .

قلت في رسالتك ان (التصورات العلية) لكل منا والشكوك هي ما يفسد على حبنا — الأسطورة ، هناة لحظاته .
لا .

لا أعتقد ان (التصورات العلية) لكل منا هي السبب (الحقيقي)
لدا حس وغراء ايامنا ، لكننا وفرنا ، لننجرك الذي تقضي نصف ايامك
لاغماده في جسد حي ، والنصف الآخر لداواة موضع الطعنة ، ونزفها ..
وأنا أيضاً مثلك القاتلة القتل .

بل حتى وأنا أدفع عن نفسي جراد التشكيك الذي تطلقه أحياناً حول
صورتي لتكسفها في عالمك ، أفعل ذلك وأنا أعرف انك لو كنت واثقاً
من شكوكك لما كبدت نفسك عناء العتاب او حتى الاستفسار .
وانا ايضاً ، قد أشهر على هنائنا سوط مخاوفي .

ولكنني مثلك لا أفعل ذلك بدافع من (التشكيك الغبي) ...
كلانا يتعلل بالباح على التفاصيل والمبالغة في خلق جو مشحون من
(الحساب العسير) ليكون لنا شجار صغير نلهي به ، شجار من ذلك
النوع الذي لا يكفي لتدمير علاقة ، وانما يدفع بكلا الطرفين لتأكيدهما! ...
كلانا يشعل ناراً صغيرة بحيث يعرف انه يستطيع اطفاءها متى شاء...

ألست معي في اننا نخلق الشجار الصغير خوفاً من ان تصفو سماؤنا بما
فيه الكفاية فرى بوضوح حقيقة ما وصلنا اليه ؟.. ويصعقنا ان نعي الى
أي حد توغلت في وتوغلت فيك ؟ ويرعبنا اننا بدأنا نقلع بحبنا في نهر
اللاعودة ، نهر « الحب الصادق » ؟ يا أنت، يا أغلى من الموسيقى ،
ربما خبار لنا من شجارنا « صمام الأمان » الوحيد لأيامنا المجنونة الهوجاء...
ربما كان كل منا قد بدأ يحب صاحبه بصدق .

بصدق . أي رعب تحمله هذه الكلمة .. أي هول مجيد ..
بدأنا نفقد السيطرة على صاروخ علاقاتنا ...

لقد انطلقنا بحبنا ذات يوم صاروخ ملذات وبهجة وأفيون ونشوة ليكون
ملجأً لنا ومهرباً من قسوة الضجر والقيود والناس والروتين .. واذا بصاروخ
حبنا يصاب بعارض لم نألفه ولم نتوقعه .
انه مرض الصدق ... وبدلاً من ان يحملنا الى ارض الحذر والملذات
حملنا الى ارض الحقيقة والوعي .. الى ارض الزجاج المكسر والجمر وصخور
النار وبراكين الوحشة والشوق والغيرة واللهفة والرغبة في الاتحاد الكامل
لكل منا .
صار كل منا يريد ان يكون عالم صاحبه ، كل عالمه ، وهو يدري
انه لا يستطيع ..

.. ولهذا حيناً تقسو أظواهر بلومك .. لكنني أحس بامتنان حقيقي
نحوك ، لأنك رضيت بأن تحمل مسؤولية لحظة لا مفر من ان تجيء .
لحظة إطلاق « رصاصة الرحمة » .. وحيناً أقسو ، وأشد بإصبعي على
الزناد وأكاد أحمل مسؤولية اغتيال حبنا ، طقلنا المحرم الوحيد ، مع
العذاب أحس بصفاء من اختار اكليل الشوك ومسامير الصلب .. وأنسى
كل ما كان من فقاعات المشاكسة ولعبة شد الحبل (والغميضة)
ولا يتبقى في ذاتي إلا فرحة دامعة الصفاء كفرحة طفل في ميم مر ببابه
باباً نويل .. صحيح انه لم يحمل له هدية لكنه رآه حقاً وتأكد من ان
وجوده حقيقة ..

يا غريب .. سأقول لك بصدق ما يجب ان يحمله لنا ١٩٦٩ :
فراق فراق نبيل وكبير، آمل ان يكبر حبنا بما فيه الكفاية ليرتضيه ..
أن نفرق . هذا كل ما تبقى لنا . فراقنا هو التوأم الملتصق بصدقنا،

لا يمكن لأحدهما ان يحيا بدون الآخر !!
فلا تقل لي انك تضحي بأي شيء وبكل شيء من أجلي .. أتوسل
اليك لا تقلها ...
فالحب الصادق حين يكون (محرمًا) ، يصبح كفرًا فقراء الهنود...
كله مسامير وأشواك ...
لذا ،
لا أملك ما أتمناه لك في ١٩٦٩ سوى علاقة أقل صدقًا ، وإخلاصًا ،
وحبًا ، لتهدأ بها وتسعد ..
فقد كانت مأساتنا يا حبيبي اننا عشنا حبنا ولم نمثله .
وداعاً يا غريب . ووداعاً يا أنا ...

١٩٦٩

لو لم يصوب طفاللك مسدسه الى عيني !

أبها الشقي ،
يا اسفنجة وحشية الامتصاص في بركة شبابي .
يا قنبلة في أحشائي أحنو عليها خان حامل على بكرها ..

رغم يزة الجفاء الحديدية التي ارتديناها ، وأحكم كل منا اغلاقها على
ذاته كمقاتلي العصور الوسطى في حلبة التحدي .
رغم خوذة اللامبالاة التي رفعناها على رأسينا رايتي عداء (قبلها كان
رأسانا وسادة حب واحدة) ..
رغم دروع الجفاء التي تنكبناها ... وخاوية زيت الفرح العتيق التي
ثقبناها ...

رغم متاريس الصمت التي شيدناها ...
رغم ثلوج الوداع التي ندقناها طيلة أيام على ذلك الجسر المحرق المضيء
الذي مددناه طيلة أربعة أشهر بين عالمك وعالمي .
رغم أظافر التحدي الشرس التي شرعها كل منا في وجه صاحبه ،
حتى استحات أصابع كفك من خمس شموع الى خمسة خناجر ... وأصابعي
من خمسة أوتار الى خمسة سياط .

رغم جثث العصفير التي استبدلنا بها نجوم ليالينا ... والمشائق التي
نصبناها من جبال أجراس كاتدرائية حينا ..

رغم اننا زرعنا طاعون الجليد في لحم أيامنا ، فصارت قارة
جلدها برك من الوحل والصقيع ، وحشيشها أهذاب أطفال أحرقتها التشرذ،
وأشجارها أطراف مقطعة مشوهة لبقايا قبيلة من المرتزقة ...

رغم اننا (درزنا) بالرصاص أصدقاءنا ، رسل السلام ، وأحرقنا
أيديهم وأغصان الزيتون في أيديهم .

رغم انا جعلنا من رحلتهم النبيلة عبر سهوب عنادنا مهمة أشد قسوة
من زحف جنود نابليون في مجاهل روسيا ... ولم يبق أمامهم إلا أن يرقبوا
فأسك ينهال على (انتيجون) ، أنت الذي نرف جدول شبابه طيلة شهور
ليبتدع اسطورتها ..

رغم طبول الرفض التي قرعناها في الدغل (الذي طالما سجدت أشجاره
وغدراناه وزواحفه وكائناته ولوتسه المتفتح على صفحة مياه بركة) لشهقات
امتزاجنا ...

(شهقة نشوة الحديد المحمى لحظة التقائه بالماء) .

رغم رقصة الحرب البدائية التي مارسناها حول محرقة أوراقنا القديعة
وصورنا، وأعشاش بيوض أفراخنا التي مزقناها بأقدامنا الراقصة العارية ..
ورغم النبال التي أطلقها كل منا على صوت الآخر في ذاكرته ...

رغم ... ورغم ...

ورغم ما كان ... وما أيقنا انه لا يمكن إلا أن يكون ..

ورغم ان ظننا ان الرصاصة التي تطلق لا تسرد . وانك لا تستطيع
أن تسجل جسداً واحداً مرتين ...

ورغم ... ورغم ...

حينما ارتطم صوان عيني بصوان عينيك .. كان لا مفر للشر من
أن يعود للتفجر ...
حينما انشق قحط الأيام عن وجهك البريء براء المنجل ، الرقيق كحد
شفرة ، وجهك المحفور فوق عظامي كأساطير الجدات ..
عادت دماء أيامي النازفة الى شريانك : موطني ...
وعدنا نتابع أبحارنا العجيب ، الى شواطئ الجمر والزجاج المكسر ..
وتسألني بينما ذراعاك تسمرانني الى تل صدرك ، منجم الأفيون
والخشيش .

— لماذا؟؟ لماذا ذهبت عني ؟
كيف استطعت أن تقولي وداعاً؟ ... هل تحبيني ؟ .. وهل .. وهل ..
وكيف .. ولماذا ..

وأصمت . من كان يصدق اننا سنعود من جديد طفلين بريئين يتابعان
سيرة العث الى حقول صيد اللهثات والجنون والنشوة .. من كان يصدق
انسي في ثوان استطعت أن انسى اننا افترقنا لأيام .. لو ، لو ، لو
لم يسمرنني سؤالك .

اذن علي ان أظلم داخل خرم الابرة ريثما أفسر ، وإلا فلا عودة
الى ملكوت حبنا ...

اذن ، علي أن أقول شيئاً منطقياً (كأن في كل ما كان يدور منذ
البداية ما يمت الى كلمة م ن ط ق بصلة !)
حسناً ، سأقول لك بعضاً من شيء عن كل شيء .

ولأن رأسي مدينة تحملها كاهنة مندورة للصمت ، بيوتها وشوارعها
مربعات كلمات متقاطعة ، وأبجديتها طلاس مجهولة كنتقوش لغة محفورة
على بقايا جزيرة ابتلعها المحيط قبل أن يتلع الاتلتيد بعصور ...

لذا ، بهدوء ، أخلع رأسي ، وأودعه أحد رفوف مكتبي بين الكتب
الصفراء والفئران وصبأ الفلاسفة .

والآن ، وقد خلعت رأسي ،
أقف في الريح والخواء غريبة ومتحدية كشوكة منفردة ، بلا بارحة
ولا غد ، حزينة كدموع دمية فزاع طيور من القش ...
نقية كامرأة في كنيسة لم تجد ما تضع في صندوق النذور سوى اسم
حبيبها .

قوية وصلبة كجدار قلعة لما تنس أصداء سهيل الخيول وقرع السيوف .
إذن لا أملك إلا ان اكون صادقة .
وعلى جسد الورق ، أرمي اليك بكلماتي الشاردة الضائعة ، كأثار
خطوات امرأة تترنح في سهل ثلجي وقد غاص في ظهرها خنجر .

نعم . قلت وداعاً فجأة . نعم . هربت من سيارتك «صدقة الدفء
والموسيقى والحنان » فجأة ...

فعلى المقعد الخلفي لسيارتك يا حبيبي ، كان هنالك مسدس منسي ..
مسدس لعبة اطفال ... كان طبعاً مسدس طفلك ..
لعبته التي نسيها على المقعد الخلفي .

ثم ، ثم لا ادري ..
لم تعد لمساتك تزرع الجمر في مسامي ... لم أعد أسمع حديثك الذي
ينحدرني ويسرقني ...
تسمرت نظراتي على المسدس ... للمرة الأولى وعيت معنى ان
تكون أباً .

شاهدته ، طفلك الذي لم أر طيلة عمري ... أحسسته ينظر إلي بعتب
وتقريع لا تقدر عليه سوى عيون الأطفال والمحترزين .

وانطلقت رصاصة من مسدسه الى عيني ...
رصاصة لم يسمعها احد . لم يدربها احد ...
رصاصة محرقة لها طعم الإحساس بالإثم ...
لو كنت تدري معنى مسدس طفل منسي في سيارة ... لما سألت :
لماذا هربت ...

لا شيء أبداً كان يستطيع ان يتزعك من أنياب حيي .
لا شيء أبداً كان يستطيع ان يملي علي كلمة وداعاً، أسكبها في اذنك
وأهرب مشتعلة بإثمي ...
لا شيء، لو لم يطلق طفلك رصاصة على عيني دون ان يدري ...

لا تقل انك لم تعرف لماذا هربت ، انت يا حبيبي (الرادار) الذي
لم يلتقط أحد قط كهارب صمتي كما تفعل أنت .

لا تسلي اين كنت خلال فراقنا . حينما تغيب ، أكف عن ان أكون.

أيها العابر في عمري كغمامة على صدر سنبله .
مناجل العالم كله لن تريحني من عبور ظلك ...
وبيادر الدنيا كلها لن تسكب الألفة فيّ ، وسأظل سنبله كل حبة
فيها دمة .

يا حبيبي ، اية مجزرة ان نعلن الصلح ...
يا حبيبي ، لما ظننا ان ارادتنا هي « القدر » افترقنا ..
يبدو ان الحب ، (ذلك العجري الممزق الأوتار الذي ينشد اغانيه
لدروب الليل منذ عصور) الحب ، هو إله القدر وسيده ...

ويوم افترقنا ...
لم يكن هناك منتصر او مهزوم .. كلانا كان مهزوماً لأن الحكاية
انتهت ...
واليوم ... كلانا مهزوم لأن الحكاية بدأت تستعصي على الانتهاء ...
يا حبيبي .. أية مجزرة ان نعلن الصلح !.. وأية مجزرة ان لا نعود..
وأية مجزرة اننا قد عدنا ، رغم رصاص طفلك الذي سيظل ابدأً يمزق
عيني .

١٩٦٩

لهسا مير صليبي ... اغني الليلة

يا غربي الذي لا مفر من ان يعود غريباً .
منذ البدء ، منذ خلق الحزن والسوط ، منذ خلق الصقيع والسعال
والظلمة ، والدموع على أحجار الأزقة الباردة ، وصمت الأبواب العالية
الموصدة ، وأنا أرتدي حقيبة سفر ، وأعدو من مدينة الى اخرى ،
اركض ملايين الأميال في شوارع مسكونة بالخوف والرجال والعنف ،
بحثاً عن يد دافئة كتهليلة أم، كبيرة وقوية كسقف بيت، راسخة كمرساة
سفينة عادت للتو من رحيل دام قروناً .

أيد وأيد امتدت إلي ، أنا العجيرة بلا مرفأ ...
عشرات من الأيدي أكثرها كأيدي النشالين والحواة كنت أحسها وهي
تمتد لتحتويني باردة ولزجة وزنخة كجسد ضفدع في مستنقع .
بجدس قطرة برية تشم السم في الوليمة المغربية ، كنت أعدو من جديد
هاربة الى هربي ..

لماذا أيديهم جميعاً كانت كفارة من الملح والكلس حينما تحتويني ؟

وكانت يدك ... (لماذا أنت بالذات) .. وكانت أيام ...

أيام وأيام ويدك قارة خصب وأعياد .. يدك وطني ..
خطوط راحة كفك صارت خطوط خارطة عالمي ... أظافرك واحتي..
خارج حدود أصابعك ينتهي العالم ، وإذا انزلت عنها لا شيء سوى
سقوط أبدي مستمر في فراغ العدم حيث لا قاع ..
شرايين يدك انهاري .

عبوسك صواعقي .
صمتك قحطي . شروذك مجاعي . كلماتك بوصلي في بحار ضياعي ...

أيام وأيام ، وأنا أكرهك بقدر ما أجوعك . (لأنك ستظنه جوعاً
طينياً كأي جوع آخر ، لا جوع كوكب مرمرى منذ الأزل في وحشة
الفلك) .

أيام وأيام ، وأنا أرفضك بقدر ما اشتاقتك .
أخافك ، بقدر اطمئناني اليك .

استسلم لقدري في يدك بقدر ما احتج عليه . وأظل أنوس عنك اليك ،
محكومة بك كرقاص ساعة أثرية مدقوق الى اطارها ، يركض أجيالاً
دون أن يغادره ..

ولأن ذلك لا يصدق ، كان من الطبيعي الا تصدقه !
ولأن الكلمات الصادقة تتحرر قبل أن تتسول إقرار أي إنسان بتصديقها .
— حتى إقرارك أنت ، بل بالذات أنت — .
لذا ،

معك ، كانت تتكدس في حلقي بحث الحروف المتحركة ، دون أن
أملك لعذابي شيئاً ...

وتسدي رثتي حشربجات أبجديتي المؤودة بداخلها دون أن استعرض
نزيحي لك فيالتي من (حرس الشرف) في كرنفال الحب ..

لقد احببتك . أية فجیعة !! ... فلأني أحببتك لم أقلها قط لك ..
كنت أرمي بالعبارة للظلمة والريح ، كما يرمى الأطفال غير الشرعيين
الى أبواب الأديرة ، سرّاً ، وبخزن كثير .

ولكنك ألفت أن ترى الحب تهالكاً . والهوى رقصة توسل في بركة وحل .
والشوق استجداء .. (وتلك لغة أجهلها يا حيبي) ...
ألفت أن ترى الأقزام يسقطون لأجلك .. وكالدباب المحترق يغرسون
كلاباتهم في راحة يدك ...

لذا .. لما خلعت حقيبة سفري وارتديت انوثتي ، لم تلاحظ ان شيئاً
تبدل .. ولما انكسر الاناء الصيني النادر ، خيل اليك انه كان مجرد كأس
أخرى فرغت ... (كانت لحطامها صورة فم يتسم) .. ولكن يبدو
انهم نسوا أن يحدثوك عن فم المسيح المتسم لمسامير صليبه .

لمسامير صليبي أغني الليلة .. ما دامت اليدان اللتان غرستهما في لحم
يدي هما يداك ...

(ترى هل تذكرت يدك وهي تغرس المسامير في يدي تاريخهما معاً ؟
كيف كانت تحتضنها أياماً وأياماً بحنان ودهشة طفل يقبض على سمكة
ملونة للمرة الأولى ؟) .

لحشب صليبي استسلم .

ما دمت بذراعيك قطعت سديانة حينا ، وبفأس الجحود حطبت
أخشابها في غاب الفراق .

لظهرك الذي يكاد يغيبه المتعطف الى الأبد ابتسم ،

أباركه بحب كصلاة الأطفال ،

لا يعرف حقداً ولا عتياً ولا ندماً ولا مساومة ..

أباركه بحب كدموع الأطفال ، تقى كغيمة تمطر في أحشاء غيمة
دون أن تمس تراب هذا العالم المزروع سكاكين وأنياباً .
لظهرك الذي يكاد يغيبه المنعطف أحاول أن أصرخ : شكراً ..
شكراً لأنني عرفتكَ ...
شكراً لكل ما كان ...

يا غريب
وأنت تنفض الغبار عن أرقام الموانئ والعناوين العتيقة في مفكرتك ،
وأنت تمضي عني بحماس وفرح صبي جميل ذاهب ليتابع لعبه في الغابة
وييده شبكة صيد الفراشات .. أحاول أن أصرخ لمرة وبأعلى صوتي
« لقد أحبيتك » وأود لو أشيعك بها قبل أن يغيبك المنعطف تماماً ،
ولكنك يا حبيبي غرست مسماراً حتى في حنجرتي

١٩٦٩

.. وا غمدت نفسي في خنجرك

أيها الشقي

كنت أظنك لن تنسى ما قلته لك تلك الليلة الحزينة ،

هل تذكر ؟

بدأت ، ليلة ككل ليلة لا تنسى ، عرفتها معك .. سيارتك صدقة
دفع وضحك ، يدك القوية تحيط بخصري قيداً من ملايين السلاسل يشدني
إليك ، ويظل يدقني الى فلك عمرك حتى بعد أن تنسحب يدك .. أضواء
السيارة تمزق أحشاء العتمة . الاسفلت يركض بجنون تحت العجلات
وفجأة ...

رأيناها معاً ،

قطعة مرمية على الاسفلت صدمتها سيارة ما .

لم تكن مينة . لم تكن حية . كانت تنتفض وتقلب على الاسفلت في
مشهد عذاب لا ينسى ... كانت مثل طفل قطعوا للتو ساقه وأطلقوا عليه
رتبلاء سوداء مرعبة تطارده ...

شهقت أنا ، وفي صدرك أخفيت وجهي ...



غسلت مرارتي بحنائك إذ قلت لي : تمنيت لو انك لم تشاهدها ...
ظللتنا صامتين . ظلت صورتها وهي تتلوى في حشيرة عذائها تملأ عينينا .
تسد الأفق . مواؤها صرنا نسمعه تردده الريح والمطر والأشجار والحصى
وشموع المزارات ... مواؤها صار في حنجرتي ...
بعد دقائق ، بعد أن استعدت بعض أنفاسي قلت لك : انه مجرم ...
ليس لأنه صدمها ، ولكن لأنه لم يتوقف ليتأكد انها ماتت ... لأنه لم
يقتلها باتقان ...

يبدو انك نسيت ذلك كله البارحة .. حين قررت أن تبتعد عني ،
واليوم حين عدت إلي من جديد .
البارحة ، طوال النهار ، بيد ثابتة سدوت خنجرك الى ذلك القاطن
في صدري - حيننا - وقررت أن تكون سيد علاقتنا - كما كنت أبداً -
وأن تحمل بنفسك مسؤولية إطلاق (رصاصة الرحمة) والفراق ، على ما
في ذلك من تعذيب لي ولك ، ما دام حيننا محرماً ، وفراشنا مكهرباً
بالخوف والخذر ، ووسادتنا يقطنها شريط يدور باستمرار يحمل أصواتاً
مؤنية متوعدة . بيد ثابتة قررت ، ألا تدير قرص الهاتف وتسأل عني .
بيد ثابتة قررت أن تغمد الخنجر . فهمت . شرعت صدري ، وأغمدت
نفسي بنفسني في خنجرك .

في التاسعة والرابع مساء كنت قد فهمت . بالضبط ، قبل ذلك بساعات ،
حدثت ما ستندم عليه . بتلك الحاسة الغامضة العجيبة ، حاسة لا تملكها
إلا المرأة العاشقة والأحصنة الوحشية (التي تعرف بقدم الزلزال قبل أن
تعلن ذلك إبرة أدق آلة في أي مرصد)

عرفت انك قررت أن تطلق رصاصة الرحمة .
وانطويت على الجرح . ومع الأصدقاء وزوجاتهم مضيت الى حيث

زعيق الموسيقى والأضواء الشاحبة تخفي نرف الطعنة ... كنت أنلوى المأ
وعذاباً واحتجاجاً ونخال الأصدقاء انى أبداع رقصاً .. كنت على (البست)
كما كانت تلك القطة على الاسفلت ..

كنت لا أملك إلا أن أموت بكبرياء ، كما أحبيتك وكما عاهدتك .
ولذا لم أحاول مد جسر الى عالمك أحمله اليك رسل عذابى ولوعى. لم
أمسك بسماعة هاتف أنوح عبرها كأية قطة شارع تافهة .. لم أطارده عجلات
سيارتك لأطالبك بثمرن كفن !

وعاد صوتك اليوم الى عالمى . عاد عاتباً ، مؤنباً .
(يا إلهى لديك مقدرة مذهلة على تسويرى بشكوكك ووضعى فى قفص
الانهم .. مقدرة تفوق ما تسميه أنت بموهبى على الانتقال من قفص
الانهم الى منصة المدعى العام) .

يبدو انك لم تستطع أن تصدق أصالة نرفى .. لذا عدت معاتباً ...
تسأل جسدى المتحجر أمامك ، عن حق حبنا على من الألم ..
لو تدري كم تألمت ...

ولكن لأنك ألفت مواء القطط وتهالكها ، ظننت صمى لامبالاة ،
وفهمت امتالى لرغبتك على انه استهتار عابث ، ولن تصدق انى عشت
عذاب الاحتضار إلا إذا سمعت موافى يمزق عجلات سيارتك .

أقول لك ، أياها الرجل الذى يوازى فراقه نزوح دى عن شرايى ..
أقول لك أياها الطائر الغربى الذى منذرف جناحاه فى زلزلة عمرى استحالت
الزلزلة كوكباً نائياً أقطنه وحيدة إلا منه .. هو وحده ..

أياها الغالى ، اطمئنك ، الى ان عذابى فى زلزلة ذاتى منذ غاب
جناحك عنى ليلة البارحة ، كان عذاباً لم تشهد له مثيلاً أحجار جدران

معتقلات تعذيب العالم ، ولا احتضار القطط على الاسفلت في الليالي الممطرة
ولكن ... ألسنت أنت الذي علمني ان الأشجار تموت واقفة ؟
أقول لك ، ما جدوى أن تحرق شجرة الطيب بأكملها لتؤكد من
انها ليست حطباً عادياً مزيفاً .. ماذا يبقى لك منها سوى يقينك بأنها
كانت حقاً أصيلة ، لا مزيفة ؟ لا تغامر بإشعال النار فيها اذا كنت
ستلعب دور الاطفائي في اليوم التالي .

أقول لك : اذا كنت ستعود ، لا تذهب ..
أقول لك ،

في المرة القادمة ، حينما تصوب طعنتك ، فلتكن يدك ثابتة ، وأغمد
خنجرك لمرة واحدة .. واذا التفت ولم تجدني أتلوى على الاسفلت وأطارده
عجلات سيارتك بنواحي ، واذا رأيتني أتقنع بالضحك وصخب الموسيقى
هرباً من المزيد من إيلامك ، ومن فضول الأصدقاء والشامتين ، فلا تقل
« أفلتت القطة من العجلات » ، لا تقل « كانت لشارع آخر ورجل
آخر » ..

لا .. في المرة القادمة لا تعد ، فعودتك بشكوكك تعذبني أكثر من
رصاصتك .. عودتك تطيل أمد عذابي لأنها تمدني ببعض الحياة .. تخيلني
الى تلك القطة التي شاهدناها معاً .. تحتضر طويلاً !
وثق انك لحظة تغيب عن عمري ، لحظة تلملم ابتسامتك وصوتك
وضحكاتك وأشعارك ، ستطبق سعادتي أجفانها الى الأبد .. وسيلفظ حماسي
أنفاسه .. فأنا لا أحبك ، بل اني مسكونة بك ، وإلا لما وقفت كل
مساء في البرد والمطر منتظرة نصيبي منك باستسلام مهزوم أيام الحرب
يقف في صف الاعاشة منتظراً نصيبه متقبلاً ما يُرمى اليه بصمت .

حتى بعد أن تفرق ..
سأظل لا أملك إلا أن أحبك ، وأنت ، ستكتشف ذلك فيما بعد
بنفسك - لأنك ستظل تحبني ..

١٩٦٩

اتجداك بحبي ..

حبيبي

ترعيني شهيتك لادائتي ، تطل من عينيك بقسوة قضاة محاكم التفتيش
وبرود غداثرهم الاصطناعية .

ترعيني شكوكك المتأهبة أبداً للانطلاق بسنابكها فوق يؤبؤي عيني
اللتين ترمقنك أبداً بحب عصفور طار ألف عام وسط الريح والعواصف
حتى وجد وطنه في صدرك ...

ترعيني كلماتك حينما تتهم حبي بما ليس فيه - وأنت أدري مني
بذلك - وتطلق علي كلماتك المتهمة سرياً من النحل الشرس اللدغ بعشوائية
شكوكك ، بقسوة اتهاماتك ، تحيل حنجرتي الى قارة من الملح والصبار ...
رغم ذلك كله بملء في ، أود أن أقول لك وأن أقول لهم جميعاً :
أحب هذا الرجل الأصيل النبل كحد سيف الأساطير ... احبه بلا
تحفظات .. أزحف اليه عبر قارة الغيلان والحزن ، وأدمر الجسور كلها
ورائي ... وأحرق الغابات كلها خلفي ...

هذا الرجل سجانني وطفلي ... أحبه ، وسأظل أُنجداه بحبي .

يا حزننا الآتي...

كوثني يتلو تعويذته وصلاته ، كنت أردد « أيتها السعادة ، يا حزننا الآتي » ، وكنا مختبئين في ركننا « بالديسكوتيك » ، وكنت مختبئة في أعشاب صدرك غابتي وكونحي وكنت مختبئاً في ريش صمتك .. وكانت أناملك العجيبة تجوس مجاهلي . تزرع العنقوان تحت جلدي . تسكب الحذر والطمانية في مسامي .. وكانت نظراتي ترتد عنك أيدي متعبة تدق باباً صلباً مغلقاً منذ زمن بعيد .. وكانت عيناك نافذتين تضيء خلفها نيران معابد غامضة الأسرار ، تلوح خلف أهدابها أشباح حكايا عتيقة مهماتها لا تنسى وانتحابها لا يهدأ .

ثم تحتويني بنظراتك . ترحل الأشباح عن عينيك وأرى في سوادهما التماح زوارق صيادين أشداء نصف عراة في ليلة صافية ، وأحس بدفء أغاني أطفال يلعبون بالثلوج ، وبأسمى رجل الثلج الذي يصنعونه لأنه لا يعرف كيف يقول : أحب .

وأقول لك : أنا ثعلب صغير طارده الصيادون طويلاً ، ووجد في شبكتك الدفء الذي لم يعرفه في ليالي الرعب والوحشة والصخب التي طالما عاشها ، ولم ينس رائحة الحذر والترقب والتزف بعد .. ونمت في شبكتك بأمن وطمأنينة طفلة لم تم منذ ولادتها .. تشدني

اليك هامساً : حبيبي ، واصلي بجزع : أيتها السعادة التي نعيش الآن ،
يا حزننا الآتي ..

ويبحر بنا الليل في عوالم صفاء سعيدة ، فأغض عيني خوفاً من
الطوفان السدي لا مفر من أن يجيء .. واتساءل : لماذا لم تجهز علي
بجسدك ؟ لماذا لم تغمد جسدك في انساني وتنتهي الحكاية ؟ « تنتهي ؟
يا إلهي من يدري ؟ قد تبدأ عوالم جديدة .. ارتعد وأنا أتخيل كيف
يمكن أن ارتعد » .. ولكن ، لماذا وقد استسلمت لشبكك ، بل وأحببتها
وتمسكت بها ، لففتها حولي ، واختبأتني في عالمك ووجودك بخنو الشريان
على النبض ، وحملتني في دنياك حتى كادت تضيع حدودي في حدودك ..
حتى لم أعد أعرف كيف أخرج منك ، كما لا تعرف السلحفاة كيف
تهجر صدفتها ؟ .. لماذا كنت رائعاً هكذا ، حتى صارت لحظات غيابك
مسيرة ارغامية في حقل ألغام ، ولحظات صمتك وقوفاً طويلاً لقرية منكسة
الرؤوس أمام أبراس دير ترفض أن تفرع ، وغضبك مقصلي وفراقنا
جلادي ... وذراعي مجدافان يتوقان للبحار أبداً الى موانئك ، وفرحي
بك يرتجف في كياني كأيدي الأطفال التي تخفق حول الفراش الملون
محاولة عبثاً الإمساك به ؟ ... تذكر وأنت ترفعي معك الى قمة السعادة ،
كم سيكون السقوط مؤلماً .. تذكر ان سعادتنا اليوم هي حزننا الآتي ..

١٩٦٨

جبنا ... شطرنج بالمراسلة

« قولي شيئاً . هل تخميني ؟ أكتبي . انظقي . انتحري . قولي أي شيء بطريقة ما » ..

أيها الشقي ..

الليلة ، أخلع رأسي بهدوء ، وأودعه أحد الأدراج ، ثم أجلس لأحدثك ما دمت قد رحلت .. لأقول لك أشياء كثيرة ما دمت لن تسمع .
وأهذي ...

منذ زمن بعيد وقلبي يختبئ منك داخل جسدي ، وجسدي يختبئ منك داخل رأسي ! ... رأسي ، درع الطفلة .

وحينما أكتب للناس ، أكتب بأصابع عقلي ، لأن كل ما تبقى مني مسكون بك ... « بدأت أقول ، أليس كذلك » ..

استيقظت صبيحة رحيلك ، وبدأت أعد أحداث يومي المرتقب ... كل ما يمكن أن أفعله بدونك ..

بدا كل شيء ميتاً موحشاً ، لذا أغمضت عيني بشدة ، بقسوة ، وتمنيت أن أنام حتى صباح اليوم التالي ...

أن أفقدك ؟ أية فجيعة ..

إذن رحلت .

وبهدوء ، خلعت رأسي ، ومضيت الى المطار أجرب الانتظار ...
خلف الزجاج الذي يشطر قاعة المنتظرين والقادمين وقفت أنتظر ...
أتأمل وجوه العائدين ...

رجال .. رجال .. وجوه لها عيون كبيرة أو عيون صغيرة ، أو
بلا عيون ... وجوه شقراء أو سوداء أو بلا لون ... وجوه ووجوه ...
لماذا أنت بالذات ؟ ... « لا لم أباك » .. وفي هذه اللحظة تبكي
ألف امرأة أخرى ربما للسبب نفسه .. لماذا أنا بالذات ؟
أهرب عنك بقدر ما أتوق لو أركض اليك ... وأضل أنوس عنك
اليك .. أتمنى أن أنزفك من رثتي ...

أفقدك ..

أيها الرجل المتعب كذذب بري*يطارده عشرات الصيادين، أفقد رقتك،
ياحد السكين ، أتقلب فوقها ، وصوتك الهادر تحت جلدي ، صوتك،
كم أتمنى لو أطلق النار عليه ..

كلماتك ، حقل الغام ، وحينما أغامر وأقرأك ، يرتني جسدي فوق
السطور الأخيرة ممزقاً يأكله الحريق ..

أن أحبك ؟ أية فجيعة ..

لا . لست غاضبة ..

أحب أن يسيء إليّ الذين أحببتهم بصدق . فقد اكتشفت انني كلما
رميت بوثن عن صدري كلما ازداد بحاري حرية وطلاقة ...

مرساي ، متى أمزق سلاسل حصارك ؟

أن تدقني اليك ؟ أية فجیعة .
وتقول : اكتب لي ..
لا أستطیع!... اكتب عن أي شيء إلا أنت ... أغازل جمیع الرجال
إلا أنت ...
معلك ..
أموء بصمت ...
أن أحبك ؟ أية فجیعة ..

وماذا بعد ؟...
حبنا ، لعبة الشطرنج بالمراسلة تعبت منها (في لندن ، كانت لي
صديقة عجوز قضت ثلاثین عاماً من عمرها تلعب شطرنجاً بالمراسلة ...
كل ثلاثة ایام كان يأتيها مظروف مختوم من شريكها في اللعبة وداخل
المظروف صورة لوحة شطرنج ، والنقلة التي قام بها ... وتقضي ليها
تفكر بالنقلة القادمة ، بأي حجر تحرك ... وهكذا ... ثلاثون عاماً ...
يوم ويوم ويوم ويوم .. نقلة نقلة نقلة نقلة .. وأخيراً جاءتني
تبكي بمرارة بمرارة .. سألتها لماذا ؟... هل هزمت ؟. قالت لا .
انتصرت . لا أبكي لأنني هزمت او انتصرت ولكن، ولكن اللعبة انتهت .
كلانا مهزوم لأن اللعبة انتهت ...
أقول لك ، كلانا مهزوم لأن اللعبة تظل « لعبة » .. لأن حبنا ظل
لعبة شطرنج بالمراسلة ... لأننا ما زلنا قادرين على ألا نخلع رؤوسنا حين
نشاء .

هزمتنا ، لأن جمیع أحصنة اللعبة وملوكها ، وكهنتها وملكاتنا ،
كلهم كانوا يثرثرون ويتحركون ويعيشون إلا أنا وأنت ، انها اللعبة ،
ظللنا شريكين قريين بعيدين لا يربطهما إلا اللعبة المشتركة ... شريكين
في لعبة العزلة والغربة ...

۵۵

حتام يظل حيناً لعبة شطرنج بالمراسلة ؟
حتام نتكذب اسطورة الحب تلك كالدرع أمام المرايا ، كي نخفي بها
الأسنة الساخرة الممدودة من قلوبنا ، المخترقة صدورنا كالمثاقب ...
أين يدك .. نسقط معاً الى قاع البشر ، ونستسلم ؟..
حيناً نحب الأشياء حقاً لا نفكر بامتلاكها لأننا نحبها ضمن شروطها
هي ... شاركني انتصاري ... لا ينتقص من رغبتني بك انك لست لي..
وحيناً أغضبك - كما أفعل الآن - (كم أحب أن أغضبك) يتوهج
وجهك بالثورة ، ويضيء كما لو اشتعلت شمس في داخله ...
واهذي مناكفة : ان احبك ؟ أية فجيرة ...
كنت تعرف معنى ان تدعني أرحل، أركض ملايين الأميال في شوارع
عينيك المفروشة بإسفلت الصمت واللامبالاة ... هل صدقت انني قط
سأغفر لك ؟

أيها الشقي ..
قبلك ، كنت أبدأ منفية خارج الأشياء ... منفية خارج دائرة الحزن
خارج دائرة الفرح ، خارج عالم الانتظار ..
قبلك ، ما الفرق ؟ ما دمت بعد ان عرفتك ، ظلت وحيدة ،
كطير يتخبط في دماثة .
ان احبك ؟ أية فجيرة ..
كدست لك اقنعتني على جانبي الطريق . كيف أضعت وجهي وما
عريته إلا لك ؟

هل تفهم معنى ان يسقط الجبابرة ؟
ألفت ان ترى الأقزام يسقطون لأجلك ..

لذا ..

لما انكسر الاناء النادر الصيني خيل إليك انه كأس أخرى فرغت ...
(رأسي نكتة مهترئة ، فأنا عاقلة) . الآن ، تمّ صحوي .
الآن سقط الآخرون والزمن ، والمكان غير مهم ، بقينا وحدنا .
هادئين ، صامتين ، (لا تسلي إذا كنت أحبك أم لا) نقيين في الفراغ
الرمادي الأزلي ، كتوأمين في رحم واحد .

١٩٦٨

لا شفاء ... منك !

أيها الشقي ،
ليست هي لحظات سعادتنا تلك التي باتت تخيفني ، وتكشف لي أي
جسر شيطاني قد امتد بين جزر أعماقي النائية ، ووحشة شطآنك ، واني
بدونك « حفنة من ريش في مهب عاصفة » . لا ...

بل ان لحظات شجارنا هي التي ترعيني . وحدها تؤكد لي أكثر من
أية لحظة سعادة عرفناها ، اننا بدأنا نضيع الحيط الرفيع الذي يفصل بين
التمثيل والواقع .. بين الحلم والحقيقة .. بين عبث اللعبة وجدية الحياة ..
واننا لما ظن كل منا انه يرتدي أقنعتة ، ويتلو أبياته على المسرح ،
ويضم اليه صاحبه مثلاً على المسرح . أضعنا ذلك الحيط الرفيع في لحظة
ما ، وخرجنا الى الكواليس نتابع المسرحية التي لم نعد متأكدين اذا كانت
منذ البداية مسرحية أم حقيقة ..

هل تذكر ليلة البارحة ؟ للمرة الثانية نتحالف معاً : أنا وأنت ، ضد
ذلك الجسر الذي ظنناه أو ادعى كل منا لنفسه انه أوهى من خيوط القمر
ونسيج الضباب ، للمرة الثانية نتحالف معاً ضده ، فنفتعل شجاراً ليقول
أحدنا للآخر وداعاً ، كما لو كان يقذف بين يديه بحزمة من المتفجرات ،
ويتلقف الآخر كلمة «وداعاً» بفرح شيطاني ، ويزرعها تحت ذلك الجسر
حزمة من ديناميت ليفجر بها الجسر «الوهم» ...

ولكن للمرة الثانية ، نطفئ القليل بدموع نمت كورود الأساطير حتى
صارت أكبر من حدقاتنا ، ومن صمتنا ، ونبتلع أصابع الانفجار ونستتر
على هوله في أحشائنا، ويتشبث كل منا بصاحبه عاجزاً عن إسدال الستارة
وإعلان « الختام » و « النهاية » ، كما لو ان الحكاية منذ البداية لم تكن
أبدأ مسرحية .. كما لو كانت أكثر حقيقة من حياتنا اليومية ...
لقد بدأنا نحتضن جرثومة ذلك المرض الذي لا شفاء له حتى ولا
بالنسيان ...

١٩٦٨

أنوثتي ليست حصان طراودة ..

عزيزي ، صديقُ حبيبي ...
وتسألني عن صديقك ، وتقول : « لم تحتكره امرأة ، مرة ، كما
احتكرته أنت - تقصدي أنا ، - ولم يخلص لأنثى كما هو مخلص لك
- أي لي أنا ! - » ...
وتسألني بالوكالة عن من ؟ عن الدهشة ؟ عن حبيبي ؟ عن حزننا
الآتي ؟
ما الفرق ؟!

للهشة ، ولحبيبي ، وللريح المزروعة على أعتاب حزننا الآتي ،
ولأنياب العيون الفضولية المشرعة كالعلق لامتصاص أخبارنا ، لكتمان وسادتي
الأيض ، ولثرثرة حروف المطابع ، لهم كلهم ، لكم . لي ، للصمت ،
أصرخ بحقيقة واحدة ... أقولها بملء حنجرة مسامي ، بمحبرة رثي ،
فأنا أرفض أن أزيغ حقيقي ، إذ أنني امرأة أنانية الى حد رفض الكذب ،
وليس في الوجود ما يستحق أن أخون ذاتي لأجله وأكذب ...
ولذا ، أعترف ...

صديقك لم تحتكره (كان يرضي غرور أي انثى ان تبسم لكلماتك في
تواضع مفتعل ، وبصمت انثوي لثيم مدّع ، تقرر التهمة النصر: احتكاره).

لا ...
لم احتكره ...
لم يحتكرني ...
ليس الاحتكار المتبادل « عملة بورصة علاقتنا » ...
بل هو الرفض المشترك لعلاقات عمادها (الاحتكار) ومسرحها (بورصة)
وأداتها (عملة) ...
لم احتكره .
لم يحتكرني .
ولذا فلقاؤنا يحتكرنا منذ التقينا... نرجسيتنا المشتركة هي التي احتكرتنا.
جوع كل منا الى ذاته ، الى حقيقته ، هو الذي يلم شملنا كل مساء
الى وليمة فرح واحدة ...
فرح كل منا بقاء ذاته ، التي كستها يوماً بعد يوم طحالب العلاقات
المزيفة وصدأ الزحام الرطب الموحش في أزقة الاحتكار ...
انه معي كل ليلة ، لأنه ليس بحاجة لأن يغادر ذاته ليكون معي ...
وليس مضطراً لارتداء قفازات المجاملة الدمثة على نظراته وأنامله
ولحظات صمته وحزنه ، لأنه ليس للحظات صمتي وحزني أفعنة وطقوس
إلا بقدر ما في استسلام الغاب لتفجر ينبوع في قلب صخر ظنّ زمناً
طويلاً انه صخر .. ونسي ان الزلزال لا ينشب عناقه المجنون إلا في
الأرض الصلبة ...
تسألني : أي انثى أنا ؟
أقول لك : انوثتي ليست قط حصان طروادة ، أخفي في جوفه رغبة
تملك انثوية بالاحتكار العدواني ، وأنسلّ به الى دهايز أعصاب صديقك ،
ومنهما الى كهوف أعماقه البكر ...
تسألني : من أي طين جبلت ؟
أقول لك : في وهج لقائنا الانساني ، أكف عن أن أكون طيناً ..

يصير لفرحتنا عراقة فخار منسي في كهف شهدت جدرانها عمادة طفل
بالرعد والمطر والغربة ...

هل يحبني ؟

من قال لك انني أريد انتزاع اعتراف رسمي منه بسيادتي ؟
أنا لا أريد الاعتراف ، لأنني أعائشه .. أنا لا أريد الصيغة ، ما
دمت ثرية بالمضمون ..

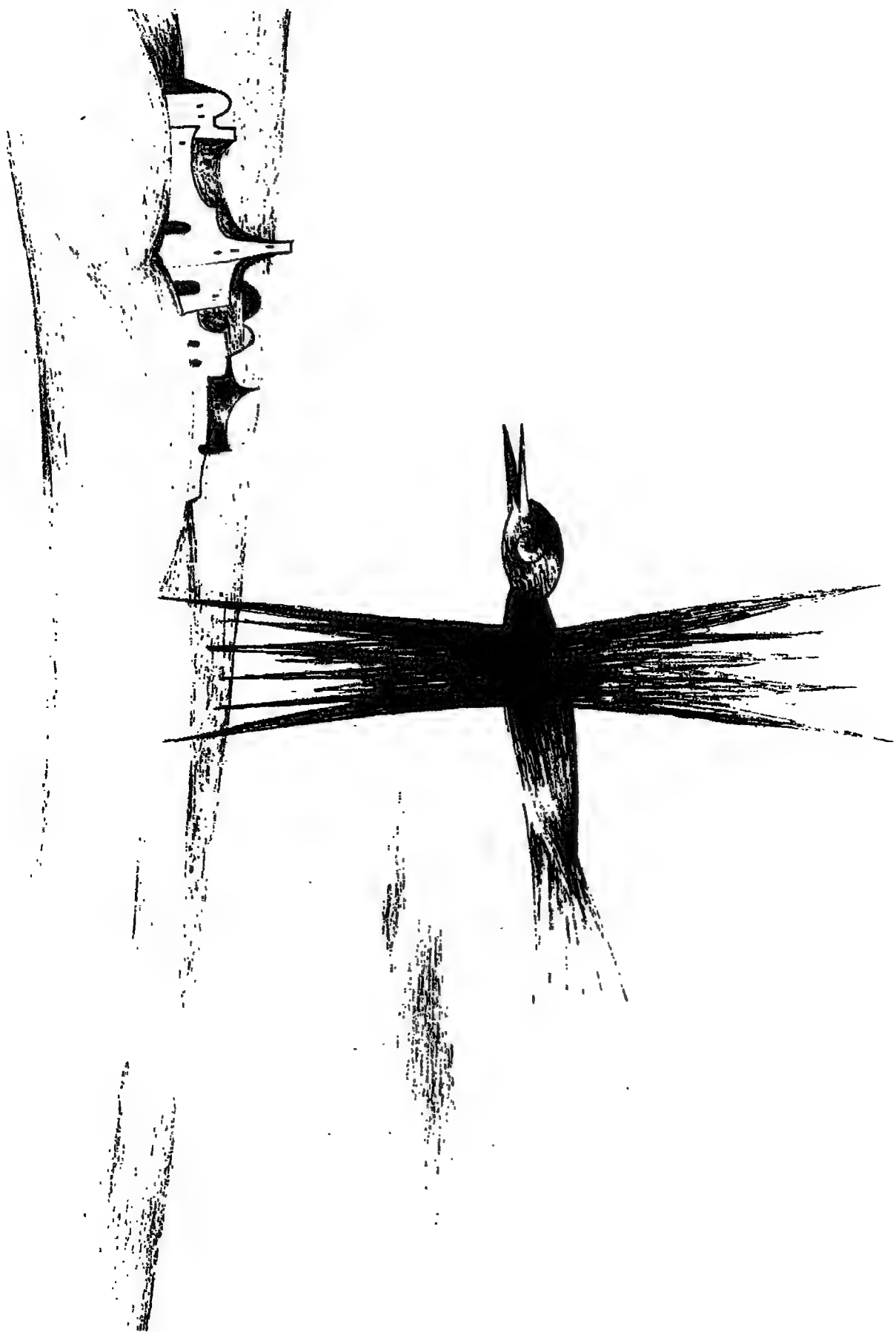
يحبني ؟ أحبه ؟

التسميات لا تهم .. الاعترافات لا تجدي .. النفي لا يمسخ أنفاسنا
المتكاثفة على جدار ليالينا .. والتأكيد لا يبدع علاقة ..

يحبني ؟ أحبه ؟

ليتنا لا تفعل . كي لا يكون الحزن — الذي لا مفر من ان يأتي —
نسغاً كاوياً يجري في عروق أيامنا أبداً بدلاً من دمائنا ...

١٩٦٨



كل وجه يعذبني

أيها الغريب ،

لا تسلي غاضباً كل يوم حين نلتقي : أين كنت ؟.. فأنا لا (أكون)
حيناً أكون بعيدة عنك ... حيناً لا توجدني نظراتك كما يعيد الشعاع
خلق الملامح على شريط التصوير الخام ، يغتال بعدك حضوري ...
أستحيل ساعة صدئة ميتة العقارب مرمية في صندوق عتيق بين ثياب
طفل وحيد مات .

أستحيل كوكباً مظلماً منسياً في ركن السماء انتزعته يد شريرة عن
مداره وقذفت به ليتخبط عشوائي الخطى في فراغ العدم الرمادي، تأرنب
أصيب برصاصة في عينيه ولما تقتله بعد ...

لا تسلي بمن التقيت ، فكل وجه يطالعني يعذبني لأنه ليس
وجهك ... وجهك الذي أحمله فوق صفحة عيني كالخطيئة: يعذبني وأعجز
عن محوه ...

لا تسلي لماذا أصمت حيناً تسألني !

لا أستطيع أن أقول لك في وقت واحد ، في كلمة واحدة :
وحدك عالمي . عمياء حتى ييزغ وجهك . خرساء حتى تناديني :

مشلولة حتى تمسي بيدك المعجزة (كما كان المسيح) .. قارة جليد
حتى يبدأ طوفان حضورك الناري ... لأنقد بعده فرناً أسطوري اللهب .
لا تسلمي يا زين الشباب عن إخلاصي ... منذ عرفتكم لم أر رجلاً
واحداً آخر على هذا الكوكب . فكيف أنحنك ؟
وأنت ، هل ترى أحداً سوانا يا حبيبي ؟

١٩٦٨

لماذا أيتها الشقيّة ؟

لماذا أيتها الشقيّة ،
في شوارع مفروشة بالعتمة ، والثلوج ، والرجال الجياع ، والمجهول ؛
أمضي وحيدة .
في حلقي ، الكلمات العتيقة التي لم تقل تنكأثر كالصبار ، وأجلدها
كأجساد السجناء ..
يقطنني شيطان مدهوش .
وكلما تساءلت « لماذا ؟ » ، تستحيل عيناى نافذتين مفتوحتين على مقبرة
صخرية ..

لماذا ؟

خلفي تركض عشرات الحقائق . تلاحقني من مطار الى آخر ، يتعثر
بعضها ببعض ، ومن وقت الى آخر ، تتناثر الأوراق والكتب وعجلات
سيارات وثياب حريرية سوداء ، تدور على نفسها في دوامة الرياح ،
وتنطلق منها أصوات شاحبة ، من ذلك النوع الذي لا نستطيع ان نؤكد
فيما إذا كان ضحكاً أو بكاء .

لماذا ؟

حينما أبكي ،

تسقط دموعي قطرات من الحبر الأسود ، فأزرعها في حقول بيضاء
شاسعة .

وغداً ، حينما يأتي الربيع ، سينبت بين صفحات دفائري حقل من
الأطفال محروقي الحدود والأهداب ، تحصد العيون بمنجل فضولها ..

لماذا ؟ لا أذكر

وان تذكرت ، فإنني لا أدري

وكل ما أدريه ،

اني طالما استيقظت في أعماق ليل تشردي ، وبحثت عن خنجر ،
أقطع به تلك الخيوط اللامرئية التي تجر بجسد سفينتي من ميناء الى آخر ،
تجرح لحمها فوق الصخور بعث مذهل ...

لماذا ؟؟

وأحياناً ،

وأنا أركض في الزحام من حيث لا أدري ، والى حيث لا أدري ...
اجدني أجلس فجأة على الرصيف .. وانفجر ضاحكة حتى البكاء ..
إذ أرى ملايين الخيوط الدقيقة التي تحرك الناس الراكضين والواقفين
والذين يتسولون رغيفاً أو أي شيء .

ويبدو الشارع مسرحاً هائلاً من مسارح الراجوزات المتدلية .
وأحسد الدمى الطليقة في واجهة مخزن الألعاب ، وأجنحة السنونو
المبحرة بحرية بحثاً عن الربيع ..

ماذا كنت أقول ؟ أجل ..

اليوم حدث شيء رهيب . روى لي أحدهم هذه النكتة .. ولم أضحك
لأنني صدقتها ، لكنني سأله لماذا ؟؟

النكتة ؟ ترى هل تضحكون لها ؟

احتفل رجل بعيد ميلاده المثوي ، وسمع بذلك أعضاء إحدى الجمعيات
الأخلاقية ، فقرروا زيارته . وحيناً ذهبوا اليه ، سرهم انه لا يدخن ،
ولم يذق الخمر طيلة حياته ، وقدموا اليه تصريحاً يعلن فيه انه مدين
بعمره الطويل هذا الى بعده عن الدخان والخمر والسهر . ومد الرجل
يداً مرتجفة وأمسك بالقلم وانحنى على المنضدة بصعوبة ليقع .. وفجأة ،
سمعوا ضجيجاً في الطابق العلوي حتى كاد السقف يسقط على رؤوسهم
وصوت تحطيم زجاج وأثاث وصراخ أجش شرس . وبدا عليهم الرعب ،
إلا أن الرجل طمأنهم بقوله : لا تخافوا . هذا أبي ، وهو سكران
كعادته !!

تضحكون ؟ حسناً .

(لنفترض انني أيضاً ضحكت قليلاً) .

سأله بعد أن أنهى النكتة : لماذا ؟ لماذا ؟

— لماذا ؟ لماذا ؟

صرخ في وجهي كمن يلقي بقذيفة من يده قبل أن تنفجر : حسناً.
انه القدر .

القدر .

وانفجرت في عيني الكلمة ... رددتها في الشوارع المفروشة بالعتمة
والثلج والرجال الجياع والمجهول ..
ثم بكيت ..
ولأن دموعي قطرات من الحبر الأسود ، زرعتها في حقل أبيض
شاسع ...
وحينما يأتي الربيع ، سينمو داخل أوراق حقل من الأطفال محروقي
الحدود والأهداب .

١٩٦٧

حين سرقوك من بين ذراعيّ ...

أبي ، أيها المسافر
أن أرثيك يا أحمد ؟
أن أمطر نحيباً وثرثرة ؟
أن أمزق ثيابي ولحمي وأهدابي وسط كورس الندابات ؟
كيف ، وأنا لا أصدق ؟
لا أصدق . أرفض أن أصدق .
وان صدقت ، ان استطعت أن أصدق انك كفت حقاً عن أن
تكون ، أية تفاهة يصبح الرثاء ! أي زيف !..
أن أرثيك يا أحمد ؟
كيف ؟
كيف أمزق الصمت الذي يستولي علي كبراً ومتحدياً ومرتفعاً كتلك
النظرة التي قد ترسم في عيني إله صلب للتو ؟
في مستنقع الرمل المتحرك أغوص .
لا أصدق .
موتك خيانة .
(أعرف انك تسمعي ، وحدك أخاطبك ولا أكتب للأجيال . وأحتقر

الخنساء، وموتك - ما يدعونه بموتك - قضية شخصية جداً بيني وبينك ،
فقد كنا طفلين غريبين شباً معاً في ميم واحد ، وكان في كل ضربة
توجه الى أحدهما رباط جديد من البوح والتساند يصهرهما .. ولأني لا
أصدق ، أتمك ، لترد وتنفني ، وينتهي الكابوس النكتة) .
أقول

موتك خيانة .

خيانة لي وحدي لا لهم جميعاً ..

فهم يا سيدي قالوا انك مت لما قال لهم الطيب انك مت . ثم
بكوك ، ثم صدقوا انك في النعش وساروا خلفه ثم حددوك في سطور
ثم أحصوا ما صنعت من أجلهم وبعد الجمع والطرح صبوا على وجهك
قالاً من الجبس وصنعوا لك تمثالاً وسوف ينصبون التمثال على باب الجامعة
هناك ويحيونه ويعلمون الأبطال انه كان مواطناً صالحاً وينتهي الحساب
بينك وبينهم ..

أقول ، موتك خيانة لي وحدي

فند (فطمتني) - كان ذلك منذ طفولتي منذ صادقتني - سقط من
حوارنا منطق الأرقام ، وبالتالي انتهى كل احتمال بالاستبدال أو التعويض ،
وصار الشرط الوحيد لعلاقتنا الانسانية : أن تكون .. أن تكون ...
وأنت الآن كفتت عن أن تكون ، أعني أحقاً انك كفتت عن ...
لا أصدق .

لا أصدق انك لن تقرأ هذه الكلمات .

أريد أن تعرف انني لن أغفر لك ان كان ذلك حقاً قد حدث . لن
أغفر للإله فيك .

وحينما سرقوك من بين ذراعي صارخين « مات » ، وأنا أصرخ
« هاتوا طبيباً آخر » ، حينما سرقوك بعيداً ورموا في وجهي بشيء اسمه
شهادة الوفاة ، تعلق عمري كله بعينيك ، كي تفتحها ، بشفيتك كي تحركها

ونصرخ بذلك الصوت المليء بالرجولة والحنان - الذي أسمع الآن ، حتى
الآن - طبعاً لم أمت ، طبعاً غاده صادقة ...
لكنك خذلتني .. للمرة الأولى خذلتني أمام كورس الندابات والندابين..
وحتى الآن ، أنتظر أن ألقاك خلف الباب كلما قرع ، لتجيء وتقول
كلمتك معي ، كمعادتك حينما أقف وحيدة أصرخ في وجه الجميع .. حتى
الآن لا أنت خلف الباب لا أحد سوى المعزين يقولون : مات ...
حتى الآن ، لم أصدق .
علمتني أن أقف وحدي ، وسوف أتعلم أن أقف بدونك ريثما تعود ،
أعني ريثما نلتقي بطريقة ما ...
كلمة أخيرة : أشتاقلك وأفتقدك .

١٩٦٦

شهوة في سمفونية ليل الغرباء

دمشق يا بعيدة ، يا حكايا التعاويذ والتقاليد ، يا سكيناً مغروسة في أعماقي لا أملك إلا أن أحنو عليها .. دمشق ، يا طفلة الحريف الوديعة .. اني أراك الآن خلال جبال المطر ، الآن وأنا أتسكع في شوارع بيروت المقفرة .. أراك كما كنت أبدأ ، وديعة ، كثيبة ، ومحافضة كزوجة ما زالت لا تجرؤ على أن تقبل زوجها .. أراك ، وأرى نفسي فيك ... انني هناك أمام باب « اللايك » . انني هناك في الغوطة طفلة متمردة على الأطفال تفضل مصادقة أبيها .. انني في طريق الصالحية المؤدي الى مدرستي فتاة تضم كتبها الى صدرها ويتوهج خداهما بالحمرة كلما أطال شاب النظر اليها .. انني هناك في الزحام في ليلة ما من ليالي تموز والألعاب النارية رقصة غجرية في كبد السماء .. انني هناك على قاسيون وأنا ملي تضيء شموعاً فرحاً ببقاء يده .. والهوة التي أمامنا لا نعبأ بها ..

ولكني هنا ، هنا في شوارع بيروت .. متشردة يغسلها المطر كأية شجرة عارية من شجيرات جنازة الدرب . وفيك يا دمشق ، خلفت نفسي وطفولتي وزمني وبراءتي .. هنا يهاجمني الواقع بكثافته كلها .. يعريني من أشياءي التي أحببتها .. يعريني إلا من البرد والغربة والذكرى .. وأبينتك التي حفظتها يا دمشق .. حتى حفرات شوارعك ، حتى اهتراء

أحجار أرصفتك .. آه ماذا أقول ؟ عيشاً أحاول أن أكفن صورتك
بالمشاهد أمامي .. بالمخازن المتخمة بالأشياء الجميلة .. هذا بائع الدمى تغسل
الأمطار واجهة مخزنه ... وأقف وراء الزجاج أتأمل الدمى ... لم ألعب قط
بدمية . اني امرأة لن تعرف الشباب أبداً لأنها لم تعش طفولتها ..

المقهى دار المشردين .. أجلس نقطة صمت في شبكة الضوضاء حولي..
في فم المذيع أغنية حب زرقاء .. البحر في القمر المعتم يرسم ملله موجبات
رتيبة متشابهة .. هداً المطر قليلاً ، والقمر منهك ضائع بين أحضان الغيوم..
أنا هنا وحيدة ، شهقة متعبة في سيمفونية ليل المشردين ..
ووجهك يا غريب يلاحقني كلجنة محببة .. عتابه حار كحبه، كتوسله،
كقلقه ، كشوقه .. صدرك يا غريب ، يا قارة الضياع، كم كان حاراً .
كرمال صحراء دمشق في ليالي الصيف .. يوم كان المطر حلاًماً في خاطر
زرقاء السماء .. وأنت ..

للذكرى طعم النحيب في حلقي .. طعم الرماد المبلل بالدمع ..
هل كانت حكايتنا الابتسامة الأخيرة التي تضيء وجهه محتضر ؟

المقهى دار المشردين وأنا ما زلت هنا أجلس نقطة صمت في شبكة
الضوضاء حولي .. وأغنية الحب الزرقاء في فم المذيع تكاد تنتهي كما
تنتهي أغاني الحب جميعاً .. أسمع صوتاً مألوفاً المذيع يقول «هنا دمشق»..
« هنا دمشق » ، وتصفعني العبارة توقظ ألم السكين في أعماقي .. هنا
دمشق .. حروفها شياطين تحترق بين أهدا بي وفوق جيبي وفي صدري..
هنا دمشق ... وأهرب من المقهى في مغارة ملح .. نحبي احتكاك الصدا
الرطب بالصدأ .. « هنا دمشق » .. وأبكي بشفتي وأناؤه بعيني وأبحث
عن أشد الأرصفة عتمة ..

أين أنت يا دمشق ؟ يا مبدعة عذابتي ، يا أم قلتي وسيدة تشردي ؟

كفك التي لم تحمل لي سوى القلق والنكران والضيق أطبع عليها قبلة
الوفاء .. ما زال المدياع يردد في أذني « هنا دمشق » ..
وأنفجر باكياً بشراة مطر مداري .. أين أنت يا دمشق .. يا وجهه
في دمشق ؟ .. يا شوارعك وخريفك وابسامته المنحوتة على كل حجر من
أحجارك ورائحته في قصولك الأربع ...
أين أنت يا دمشق ؟ يا كهف السحرة والآلهة الضائعين بين غباء
الاعمان وإبداع الإلحاد .. يا غابة الخبز العتيق والنراجيل القديمة، يا تمثالي
المطعون في طقوس الزيف ، يا رسمي الممزق في مهرجان الأقنعة ، لماذا
يا غالية ؟ .. بكبرياء أدفن شوقي اليك تحت منابع الضحك الفضي ..
بكبرياء أتحدى رسمه، ذكراه ، أتحدى التصاق به يوم وقفنا أمام الهوة في
قاسيون .. الهوة زهرة وحشية من الأزهار اللاحمة، أشواكها أنياب تنغرس
في شبابي لتمتص منه الحيوية والأمل والتوق الى المجهول .. وأنا أستسلم ..
أتنحبط ، أقاوم ، أتعب ، أسقط ، أتماسك .. لا أقول شيئاً .. بكبرياء
أحمل مغارة الملح في في كي لا أبكي حينما يقول المذيع « هنا دمشق » ..
كي لا أنهار حينما تلاحقني عيناه ، منارتاي الضائعتان ..

١٩٦٤

انت ومدينتي

وثنان ، لا بل جرحان ... انت ومدينتي
والصمت ، قدر أحزان النسور ، صار قلدي ..
اسطورتان شاحبتان ، أنت ومدينتي ..
وتعاقب الأيام عبثاً يسكب أمطار النسيان ليديكما من خاطري ، عبثاً
يهيل الضباب ..
وسوء فهمكما لي لن يوقظ عقارب نغمتي ، لن امنحكما أبداً غير
الحب والصمت ..

اذن انتهت اسطورتنا يا صديقي
وذلك اللقاء الرائع كان آخر لقاء .. وحبنا الذي بدأ في الذروة قد
انتهى في الذروة نفسها .. دون انحدار .. انه ما زال جميلاً ودافئاً كطفل
مات من ثوان فقط ...
النسيان ؟

صديقي ، يا حد الشفرة ، بجنو يمس ، بوحشية يجرح ..

وصوتك .. يا هتاف نارينخ الأحزان ، يا عتاباً مريراً كخفية الآلهة..
اختزنه بحرص البخيل في كهوفي ..
الضعفاء وحدهم يتحدثون عن النسيان ..
وأمي كان اسمها : التحدي ..

اذن انتهت اسطورتنا يا مدينتي
حلت علي لعنة الغجر منذ تلك الليلة الدامعة ، ليلة رحيلي .. ليلة
تحولت ابنتك الى اشارات استفهام سود مشدودة الى قعر الشوارع ،
تتساءل بأسي : الى أين ؟ الى أين يا زوجة الرياح ؟؟ وحكاياك ...
وطفولتك .. وجذورك هنا ..

ان نبل الفارس الذي أخذ بيدي لم يحجب عن عيني قسوة الدرب الي
تتظرنني .. لم يلجم لساني عن التساؤل : ترى أية أصابع شريرة كانت
ترسم لمصري هذا ؟ أية قبضة عابثة ؟

اذن انتهت اسطورتنا يا دمشق ..
حلت علي لعنة الغجر ، وعلي ان أبدأ من جديد ، خيمتي الرياح ،
ووسادتي غيمة ذكريات ، وحيبي الصبب وديني الكبرياء والوفاء ..
وأنت أبدأ ، مبكاي ومصلاي اني توجهت وحيدة إلا من طموحي.
أحمل طموحي وأحمل معه عشرات النبال المسمومة المغروسة في ظهري..
وأسير .. وأسير بحثاً عن أفق عن شمس عن إله عن المفتاح .. خيط
الدم الذي أخلفه ورائي كلمات من جمر تحكي مأساة المرأة الطموح في
بلادي ..

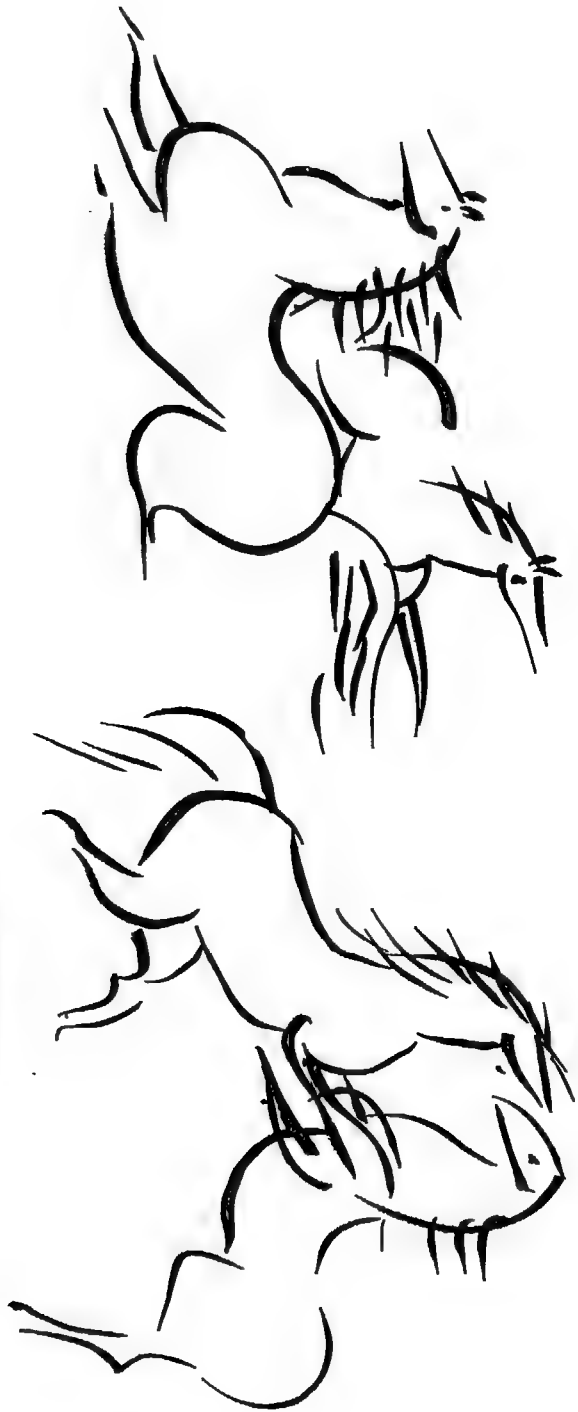
اسطورتان شاحبتان .. أنت ومدينتي ..

احملكما في صدري منارتين نائيتين ..
احملكما في أعماقي جرحين مقدسين ..
في دروب طموحي لسعي سوط تزيidan وحشية اندفاعي ..
في سجل عمري اسطورتني وفاء وتماسك وكبرياء ..
كنت يا صديقي مدينة أفراحي كما كانت مدينتي ...
تري هل أعود إليك ؟

١٩٦٤



1/16



فوق الثلج

بصفاء أفعى خلعت جلدها القديم .. بصفاء أعين الآلهة ساعة الخلق ..
بصفاء الثلج الذي كان على ضفتي الطريق .. بصفاء الندى الذي لم يلمس
شفة زهرة بعد .. بصفاء فجيعتي بما كان وبما سيكون .. بصفاء أرحب
بالصفاء ، بالأصدقاء ، بالعيون التي لا غدر فيها بالقلوب التي لا تعرف
اللؤم .

ورغم الصفاء ، رغم فرحة اللقاء بنفوس لا تعرف المخاتلة ، رغم
كل شيء أحس بأعمالي الغريبة ، بذلك المسرح الخاوي حيث الستارة
ممزقة والقيثارات مظفأة العيون .. رغم كل شيء أحس بالرماد ، بالرماد
في حلقي ، بالدمع الذي لم يره رجل قط ..

الثلج الثلج .. أكداس من الثلج .. أجيال من الثلج .. وأنا تحت
الثلج ، هل تجرؤ ؟ هل تستطيع أظافرك أن تنبش قبر الثلج من فوق ..
هل تجرؤ على أن تراني كما أنا ، على أن تحبني كما أنا .. امرأة من
رماد تبحث عن بعثها في صدرك ؟ وصدرك ، تراه كما أحلم ، طبقاً
من جمر يترك بصماته فوق الحنايا العارية .
يا أنت .. الثلج الثلج ، هل تجرؤ ؟

أتوق ، أتوق الى أن أرحل بعيداً ساعدك مركبي واهدائك شراعي ،
وأنت يا أنت كالريح ، لا لقاء معك إلا على خد الجبل العاري في ليلة
مظلمة باردة .

وأنا يا أنا ، يا طفلة محروقة الحدين ، يا امرأة من نبيذ المستحيل..
إلى أين ؟؟

الى أين ؟ لا مفر من الرحلة .. لا مفر من أن أهرب بعيداً وأترك
لكم جسدي على المنضدة ضاحك الشفتين مرح اللفتات .. لا مفر من
الرحيل .. نداء لفجعية ينطلق من هناك ... من ظلمة غايات نائية تتصاعد
من مغاورها أنجرة تتلوى كامرأة تجلد بالسياط ..
لا مفر من أن أرحل .. الى لا مكان .. الى أي مكان .. اني
مشتتة متعبة ضائعة .. كدخان لفافاتك التي ترحل من دفء شفتيك الى
المجهول .. الى المجهول ..

١٩٦٤

أعياد فتاة عمياء

لأنني يا صديقي حينما أبحث عنك ، أتحمس الجدران .. لأنني والساعة
الثرثرة في الظلام مصلوبتان تتجادلان .. لأن الصبايا مررن بغرفتي شامنت
مشفقات قبل ذهابن الى الحفل في دارك القرية .. لأنني كما تتندرون
الآن : صرت عمياء قبل إطلالة العام الجديد .. بأشهر .. بأيام .. لا
أدري منذ متى يا صديقي .. فأنا لم أعد أميز الأيام .. والألحان التي نهب
من شرفائك تبعثني كشتيت السحاب .. تحملني في ظلماتها الى بعيد ..
بعيد .. أتبه .. أتحمس الليل والصقيع ، وأبحث عن براعم العام الجديد
لا جديد ..
فلأنني هنا منبوذة لا أرى ، فأنا أبصر كل مكان .. أبصر كل
مكان ..

.... برلين ...

وعينا صبي فارغتان من امتلاء الماضي وتوثب المستقبل .. برلين ..
وغريب يضم اليه غريبة والأسلاك الشائكة تفصل بين صدريهما ، تنغرس
في لحميهما .. برلين .. والدبابة تجرح خد شجرة الميلاد الذابلة .. الشجرة
بلا أضواء .. بلا كرات ملونة .. أيد مقطعة وأعين أطفال مشوهة لم

تولد بعد هي وحدها التي تطل من بين الأغصان ..
الحارس يروح ويجيء .. ضربات حذائه تدق الأرض .. تدق مسامير
جديدة في غربة الانسان .. والمسيح .. لم يولد منذ أعوام طويلة ..
العيون في برلين كالندم ممزقة دامية .. كالبارحة ، كالغد ، كأيام
كانت وستكون .. تسائل صقيع الريح : بأي عام جديد يهرفون .. ما
دام لا جديد في الدبابة ، في الأسلاك الشائكة ، في العيون !

اسود الوجه كلؤلؤة تلاحقها اللعنة .. يقف أمام الكنيسة .. جاء الى
أسواق الله يبيع الحب للذين يبيعون الحق والكراهية ..
البيضاء المدللة تمر به . تخشى أن يتسخ ثوبها بدمعه الأسود .. رجال
الشرطة في أسواق الله كثيرون .. التفاهة البيضاء لن تلوث بالحب الزنجي ..
بالدم الزنجي .. اطرده ..
في ركن الشارع ينزوي الزنجي .. الكنيسة أوصدت معدتها دون الخبز
الأسود ..

الأجراس تثن .. تتلوى ساخرة .. هنا تقوم صلاة الأشراف، فليبحث
السود بين أحجار الشارع عن إله آخر .. وعام آخر ..

موجة اللحن المغناج تهب من دارك باهتة كالرياء .. تنتزعي من
الصمت والظلمة وأنبئ الساعة .. تحملني الى دارك .. الى الغرفة التي حلفت
فيها انك ستحبني أبداً ..
وأراك كما كنت أبداً ... نجم صبح فخور في سماء شاحبة .. بالوهم
أتحسسك وأنت لاه ..

ضديقتي ، أعز صديقة تطير كالفراشة بين ذراعيك .. تحكي لك
كيف أخطأت العمياء النافذة فظلتها باباً وكادت تخطو عبرها .. نكتة ..

تضحكان .. تسألك متى تطفأ الأنوار ليلة العام الجديد .. الظلام .. لو
إنها تعرف معنى الظلام ..

الظلام .. وجدران العفونة الرطبة .. ورائحة الاوراس تفوح من الجرح
العتيق .. الرجل يحمله ، يزحف به ، ينبش أرض السجن بحثاً عن عام
جديد .. أي عام .. سجنوه بعدما ثار .. لأن أرضه لم يولد فيها مسيح
منذ أعوام .. لم تعرف عاماً جديداً منذ أعوام .. الخنجر ما زال يحسه
في جرحه ، حاداً ملتهباً ، سيخاً من نار .. صاحب الخنجر يشرب مطلقاً
العنين .. يهذي : وعلى الأرض السلام !

في مدينة ما تحط بي موجات اللحن ..
في كهف ما باهت الأضواء - ييكاسي - الرسوم .. آدم وحواء
يرقصان .. حواء من النوع الذي ينام في أرائك لويس الخامس عشر ..
يحتقر الذباب والرجال .. ويبحث غالباً عن أي رجل !... قيص آدم
المهترئ لا ينجل من غمّل خديها المدلل .. آدم عادي كآلاف الرجال ..
يتحدث عن النوم والعمل والتعب .. يتحدث عن أي شيء ..
فجأة .. يثور اللحن .. يضمها اليه بشدة .. تصفعه - الكونتيسة -
غاضبة .. تكاد تفسد طية ثوبي ونظام شعري أيها الجلف ..
الرجل يحمد . سيدتي . تريد أن أحبك ، وآدم لا يعرف كيف
يجب بالشوكة والسكين ..

الألحان ما زالت تهب من شرفاتك ، تبعثني كشتيت السحاب ..
تحملني في ظلماتها الى بعيد .. أتبه .. أنحس عيني الطفل الذي لم يولد
بعد في برلين .. أنحس عيني اسود الوجه كلؤلؤة اللعنة .. أنحس

الجرح الدامي المعتق بأحزان الاوراس .. أتحمس فقاعات أفراحكم ..
أتحمس وجهك والليل والصقيع .. وأبحث عن براعم العام الجديد .. آه
لا جديد .. لا تبصرون ..
فلأني هنا منبوذة لا أرى ، فأنا أبصر كل مكان .. - للأسف -
كل مكان ..

١٩٦٣

وتمر الأيام يا غريب

قبل ان نلتقي ، قبل أن تقف أمامي كرمح لا ينثني ، قبل أن
تحدثني عن أحزان العالقة ، ووحشة الرجل الانسان في حريم ألف ليلة
وليلة حيث النساء يغطين وجهه وذراعيه وكفيه وصدره .. كالعلق .
قبل أن نلتقي يا غريب ، كانت الأيام شاعراً جوالاً يغمر النوافذ
كلها بالأغاني والنجوم إلا نافذتي .. نافذتي كانت دائماً مغلقة ..
وكان الآخرون ينزلقون على صفحة عمري دون أن يتركوا خدشاً ..
بصمة اصبع .. تماماً كما تنزلق المياه على الجدار الزجاجي لبائع الزهور ..
وكنتُ جداراً زجاجياً حقاً .. وبارداً .. وزهوره لا تصلح لباقة فرح ..
للأكاليل فقط !

وتمر الأيام

وتزرع الأيام في خاطر الزمن حكاية تنبض دفناً وطيشاً كشفة عاشقة ..
وتمر الأيام .. كانت براعم فأنضجناها .. وكانت صقيعاً فألهبناها ..
وكانت ساعات جمود فحركناها .. سكبنا في دقائقها العير واللون والظل ..
وكان الليل شوارع فضية تمتد تحت عجلات سيارتك .. وكان العمر
حكاية ، ضحكة ، همسة تنسجها شفتاك ..

وكان المجهول نظرة خضراء تغسلني بها فأحسني كغابة بكت طويلاً ..
ندية وبريئة ... وكان صدرك مغرياً كالحقل الذي يرتمي على ترابه جنود
متعبون فرغوا للتو من المعركة .. وكنتُ يا غريب جندياً مهدوداً يحمل
معه المعركة أينما مضى ..

ظلك الكبير يا غريب ، أحقاً ينحسر ؟ ووجهك ، كوتتي التي
أحببت أن أطل منها على العالم ، أحقاً يغيب ؟ وعيناك ، يا نجمتي
الضالتين في آفاق ممزقة المدارات لن تومضاً بعد تلك الليلة قرب وجهي ،
تتوقان للرقاد بين خصلات شعري .. أهكذا تمرين يا أيام ؟
غرفتي أضحت نافذة كبيرة مفتوحة .. لمن تحمل أغانيك أيها الشاعر
الجوّال ؟

المطر ..
يغسل الشوارع التي تسكننا فيها .. يغسل مقعدينا .. يغسل الشاطئ ..
يغسل وجه البحر .. يغسل الغابات .. يريد أن يمسح بصماتنا .. يريد
أن يزيل آثارنا .. أنفاسنا .. ضحكاتنا .. أحلامنا الصامتة .
عبثاً .. عبثاً يا مطر .. عبثاً تنمحي الحكاية . أضحت كوشم الجمر
في الأعماق .. عبثاً يا مطر ..
تعال .. وابلِك معنا بإخلاص

رحل
والشمس ظلت تطلع ! والقمر ظل يتلأأ في الدرب .. والخريف
قال للذعات ليالي تشرين الباردة انه سيعود ..
وعلى قاسيون أقف .. ودمشق ما زالت حفنة أضواء مرشوشة في عتمة
القاع .. وأنا أمد يدين صغيرتين فاحتوي دمشق بين كفي ، أرفعها من

القاع ، أدرس وجهي فيها بحنان ، أبحث ، في كل شبر لنا حكاية ..
أبحث عنا .. لا شيء .. لا أجد شيئاً ..
أحقاً كنا يا غريب ؟

تمزقي
تمزقي عروق الليل أنت امتصصت الحكاية .. تمزقي .. انزفي رحيق
اللقاء .. انزفي حسرة الوداع . هزي جذور الموج .. جذور قاسيون ..
جذور عمر كان لنا .. أهكذا يمضي ظله الكبير المضيء ؟ أهكذا تجمدن ،
تصمتين ، تتجاهلين .. وأنا لولاه ما عرفتك يا ليال .. يا نشوة ما
كان ، وأحزان ما لن يكون .. ماذا أقول ؟

أحقاً كنا يا غريب ؟
فلتنكر الريح والأمواج والقمر ولذعات الخريف الباردة . فلتلحد
الطبيعة بنا .. بك في أعماقي أتحداه جميعاً .. برسمك الموشوم في مقلتي ،
بصوتك في حلقي أقول : كنا وسنكون .. غداً تعود يا غريب ، اليوم
غداً ، وتعود تمر الأيام .

١٩٦٣

天



كلمات دافئة

صيدي .. وقتلاي .. وحطام مراكبي .
والدوار ، ومرارة الغثيان ، ورماد الحية .. والمنارات المطفأة ،
وخرائب الموانئ .. وستة أشهر انقضت منذ افترقنا .. وألف حكاية
ملل تنحشر في حلقي حزمة من الأشواك .. وأنت يا أنت ... ووجهك
مشتول وراء الأشياء كلها ، وراء المنارات والأشعة التي يمزقها المطر ،
وجهك أنه خافته رتيبة أظل أسمعها رغم الدوامه التي أخلقها والرياح التي
أهيجها ، والمعارك التي أفتعلها هرباً مما كان .. ووجهك أبداً خلف
الأصوات والألوان ، وسحر أعوامك الأربعين ، ونكهتها وطعمها طعم
الجمر والدموع ...

ستة أشهر ولعنة أعوامك الأربعين تقلدني بلا رحمة من درب الى تيه
الى ضياع في مدن غريبة مجهولة .. ستة أشهر وشبابي يتمزق على اسفلت
شوارعها ويتجرح ويلذوب وأنا أسير وأسير وعند كل منعطف أحبس
أنفاسي وأقول سوف يظهر خلف هذا المنعطف ! .. سوف يطل الآن ..
ستة أشهر ، وكل ليلة أقف عند شاطئ البحر وأنظر الى البعيد البعيد
أتمنى أن أرى الضفة الأخرى للبحر حيث أنت ، وأحاول أن أقنع نفسي
بأنك ما زلت قريباً جداً .. هنا .. على الضفة الأخرى فقط !

سته أشهر وأنا لا أجرؤ بعد على التصديق .. أرفض الاقتناع بأن كل شيء قد انتهى والشلل توقف عن التدفق ، والآلة كفت عن العطاء ...
وانني أنا ، بيدي التي ترتعش حباً حينما تخط اسمك ، بيدي هذه وضعت النقطة الأخيرة في سطر حبنا وصممت على أن أبدأ سطرأً جديداً ...

سته أشهر .. صيد .. وقتلى .. وحطام مراكب .. وحروفي التي كانت كأطفالي صارت تنظر إلي بشراسة وحقد ، صارت غريبة عني تأمست معك علي .. سته أشهر وأنا أهرب منها ، أخافها ، أعرف ان راثحك تفوح منها ، أنفاسك ، نبضك ما زال يحقق فيها .. عينك تضيئها .. وكنت أعرف ان خلاصي يكمن فيها ، أنها وحدها - ان اعتقت - قادرة على ان تمنحني حريتي من جديد . وحاولت ان أقصرها على ان تنضم الى بعضها من جديد لتكون لسواك ، لكنها كانت تهرب من بين يدي وتنزلق من بين أصابعي وتقفز عن المنضدة هاربة كفريق من الجنود المهزومين، يتعثرون بالهشيم والحريق وتنطق عيونهم الصغيرة بالآثام والحق .. وحاولت ان أكتب لك .. أن أقول لك لماذا انسلت من حياتك .. وأعترف لك بأن الشلل أصاب يدي ودموعي وأفكاري .. وسري الغامض يتوسل إلي بعينه نصف المغمضتين وجبينه الشاحب، أن أبقيه في ركنه المعتم .. وحاولت أن أكتب حكايتنا ، لكنني كنت أحس وأنا أكتب بأنني أحبط هذه الحكاية التي كانت تنبض لإخلاصاً وصدقاً .. أمسحها .. أشوهها .. أدفن حدة المأساة في قالب اللغة .. وصمت .. ورضيت بالهدوء المسحور الذي نصب نفسه حارساً على أشياءنا ..

حتى وصلت رسالتك الأخيرة ..

شكراً لسمك ، لمعولك وسيطلك .. شكراً للطعنة فقد كان فيها بعثي وخلاصي .. وكان فيها اعتناق حروفي من عبوديتك .. للوهلة الأولى لم أصدق .. حتى خطك الذي أعرفه جيداً أنكرته .. ثم بدأ الضباب ينبع من جرحي ليغمر وجهك .. والصدأ ينبت على ضحكك .. النجمتان في

عينيك انطقتا .. وأنا أعدو وألم نفسي من شارع مقفر تشردت فيه ومن
صحراء تصفر فيها الرياح ومن ليال ماطرة ومن رحلات خيبة وملل ..
ألم نفسي كي أقف أمامك عملاقة التحدي ، كي أصرخ لا ، كي أجد
دربي ، كي أمضي فيه وحدي صلبة متماسكة ..

وحروفي عادت إلي، تحيط بي تمد لي جسراً الى وديان ليس لرائحتك
فيها أثر ولا لظلك .. تنفجر في صدري كنبيع من شرر شره الى التدفق
والعطاء ..

وبعد ، شكراً لسمك ومياطك . لقد كان فيها خلاصي .

١٩٦٣

كنت أتمنى يا زوجها ... ؟

اذن انتهت اسطورتنا أيها القرصان الذي مر ببحاري الآمنة ، فاستباح
أسرار جزري ، وغرس رايته فوق شمسي ، ثم مضى بعد أن مزق أفقي
بسيفه وخلف في كل مكان رائحة المشيم والدمع والرماد .

اذن انتهت أسطورتنا
دمرها زلزال شكوكك ودفنها طوفان صمتي ...
شكوكك وأنت تتساءل أبداً . ترى من هي : من هي ...
كنت أقرأ في عينيك المغمضتين ما تأبى شفتاك البوح به .. وكنت
أرى عشرات الصور المختلفة لي تتعاقب كشريط سينمائي خلف جفنيك ...
تراني تارة نقطة حبر طائشة تتقلب على صفحات الزمن البيض لتترك
سطوراً شرسة جريئة ... وتارة غائبة خطرة ... وتارة أخرى إشارة
استفهام متحركة .. وامرأة جادة .. وطفلة متعبة . ومغامرة لا مبالية ..
وضائعة بين أذرع الرياح .. كنت لك الدهشة والحيرة والطفولة وعبث
الغواني .. وكان لك صمتي ...
لو كنت تحس وهج الصمت ..
لو كنت تسمع انتحاب الصمت وابتهاال الصمت لتمزقت .. لعرفت
مأساتي ... يا زوجها !!!

اذن انتهت اسطورتنا يا زوجها ... هل يدهشك أن أمضي ؟ لم تكن
لتملك لي إلا فصلاً جديداً في مسرحية ضياعي ... وقد تعبت من الزحف
على الأرصفة في ليالي الصقيع .. لم تكن لتملك لي إلا داراً ليست داري ..
لم تكن لتستطيع أن تمنحني إلا شبه قدر .. شبه عطاء .. وكنت أريد
موقدك ومبكاك ونيرانك كلها .. وكنت أتمنى أن أرى الدخان يتصاعد من
رؤوس أصابعي حينما تسمرنني نظراتك الى شاشة وجودك .. أن يكون
لشفئك أبداً طعم الجمر .. ان يكون للقائنا علانية الرعد ولا مبالاته ..
كنت أتمنى أن تمنحني شيئاً كبيراً ، فرحاً كبيراً ، مأساة كبيرة ،
حناناً كبيراً .. أي شيء يليق بما أردت لك أن تكون لدي ..
وكنت أبكي بصمت لأنك لست لي .. لأنك في عمري لا تملك إلا
أن تكون ظلاً .. لأنك المجهول الذي يرسم قدري دون أن يدري
يا زوجها .. لا .. لا أملك .. لا شيء سوى انني انتحب بصوت عال...

ويوم أردت لنفسك أن تكون مجرد ضيف في مقهى رفضت .. لأنك
شيء آخر .. لأنني أردت لك أن تملك كل شيء أو لا شيء ..

ماذا كنت تتوقع ؟
ماذا سوى أن أهرب لأتبع الوجوه من جديد بحثاً عن رجل عيناه
نجمتان تشعان حناناً أخضر ، كعينيك ؟ ماذا سوى أن أعود الى عشرات
الدمى التي أملكها ، ادنيها وأقصيها ، أحنو عليها ثم أدمرها كأية طفلة
ملول ...

وأنت ... أبداً ... أنت ... قسوتك الحنون .. أبداً شعاع عينيك
الأخضر أعود اليه بين دهر ودهر .. يغسلني ، يحنو على تشردي ، ثم
يرمي بي من جديد الى ضياع أبعد وتشرد أقسى ..

وأنا ، سأظل أبداً جزيرة الرعب التي تجذب أشجع القراصنة، تتحدى
أشجع القراصنة ليلقوا الهزيمة عند أعتابها ..
أما إذا جئتني ذات ليلة مجدولاً بالتعب والوحدة والغربة ، فستسحيل
جزيرتي الى مرفأ أمان لوقع خطاك .. الى غابة حنان ووداعة ..
أما الآن ، فلا تلمني يا زوجها ...

١٩٦٣

يوميات فتاة مريضة

الليل وتابوتي وغربتي .

لا شيء سوى خيوط المطر يشدني الى دنيا الأحياء .

وأنا غريبة .. شرارة في صدر الجليد .. جناح فراشة في كهف
الرتيلاء .

أنامل المطر تدب على النافذة ، لن أفتح النوافذ للريح !
يا وجهك الصامد كسنديانة فخور ، يا غموض كاهن لن يموت . لماذا
حدثتني عن المجهول الرائح الذي يقطن مكاناً ما في مدينتنا يوم سألتك
عن معنى لوجودي ؟

لماذا علمتني منذ طفولتي أن أبحث عنه، وقلت أنه ساعة يتوهج، بضياء
لي دربي ، كل درب وأية درب .

لماذا يا أبي ؟ الآن عدت من رحلتي ، آخر رحلة ، الآن أسجد
في تابوتي لتابوتي ، لصمت اللوحات البله والنور الباهت ، لا يشدني الى
دنياك سوى ديب أنامل المطر على النافذة ، لن أفتح النافذة ، أبداً لن
أفتح النافذة للريح . الآن عدت من رحلتي ، كل رحلة نحو وجود

الآخرين فشل . وأنا، تلك الحقيقة التي أحس أنها حقيقة ، لن يدرك حقيقة أبعادها وعذابها إلا أنا .
الطبيب يقول ان مرضي الوحيد هو انني أرفض ان أشفى . هل تود ان تسمع الحكاية ؟

مرة قلت له : أيها الرجل .. هل يقطن المجهول الرائع في عينيك ؟
أيها الرجل ؟ ماذا أقول للمطر ، إن رحلت ودق المطر بابي ؟
ماذا أقول للشتاء اذا انسكب في مفرق شعري ، وأغرق كفتي وعنقي
برعشات الصقيع ؟
ما أقول إن رحل الدفء في طيات معطفك يا ابن السفوح السمر ؟
مرة قلت له هذا كله .

مرة غرست أعصابي في أعماق عينيه ، انسكبت في فلكها وسبحت
كوكباً حالماً ، نبشت مداراتها ، لم أجد المجهول الرائع ، لم أجد أي
مجهول ، كان في عينيه خمول مستنقع مهجور إلا من الأفاعي والطين .
وكان مزيفاً كمأتم ثري ، ضاحكاً كطيل . وعرفت ان آدم لم يولد بعد
وحواء لن تسكب طيبتها ونيرانها لرخاوة الطين .

وأعود ارفع ايامي وذكراه .
مرة ، قسّمت وجهه سكبتها في قسّمت وجهي .. أذكر ابتساماته
فأبتسم .

يا عينيه . يا نجمتين انطفأتا في وحشة نافذتي . ماذا أقول ؟ . كنت
أبحث عن المجهول الرائع ، عن قوس قزح خفي يلقي بظله على وجودي
الشفاف الأبله ، وحكاياه كانت تسليني ، ولم تكن تقنعني ، والمجهول
الرائع، أبداً لم ينبت بين أهذاب رجل .

المدينة .. لا نملك فيها شيئاً .
الشوارع لجنون السيارات ، المطاعم ليرقبها الجياع .. الفتيات ليهرمن ،
الصدور ليحرقها الدخان والفراغ والسأم .
الآخرون عالم غريب ، نعرف انه ينظر إلينا ولا يرانا ، يخاطبنا دون
أن يسمع حجتنا ، يفرض قوانينه على كبريائنا دون أن يحترم وجودنا ..
رقم .. أنت وأنا مجرد أرقام في سجلات المدينة .. أنت وأنا لا شيء في
نظرها سوى اسم في سجل المواليد ينقل بعد حين الى سجل الوفيات .
المدينة . لا نملك فيها شيئاً . المجهول الرائع لا يقطن فيها .. تراك
خدعتني يا أبي ؟

الى تابوتي أنسحب ، الغرفة باردة ، أستسلم للفشل ، وأمتد في وجود
الآخرين ظلاً لا يدرك ، لا يمزق ، يكشفون غريبي حينما يغرسون أنيابهم
في ظلي ، فيرجع الظل ساخراً يائساً
أشرعني للمتها عن جزر حقدهم ، طفولتي ، صدي ، أحلام السندباد
وعلاء الدين ، انطقات كلها في مقل نسور ضلت طريقها الى قم السراب ..
حماسي تنوس في أراجيح السأم .. أنا بلا لون ولا ظل ولا صدى .

قال متجهماً : مرضها الوحيد هو انها ترفض ان تشفى .
أراه ظلاً شاحباً يعيد ويعيد هذه العبارة ، وأضحك منه ، من إبره
وأدوينه وأوامره بالآغاادر الفراش .. لو يعرفون !
كل ليلة ، أفلح مع الصمت الى موانئ لم تلوثها ضحكة رجل كاذب .
أمتطي طواحين الهواء ، أصلب توثي على رتابة أضلعها . أداعب
دون كيشوت . أبشر لهفتي في كهوف لم تفجع صخورها بخيبة امرأة ،
أعاقب عقوق الوجود بأنوثتي العاقة ، المجهول الرائع لم أجده حتى في عالم
الوهم .. تراك خدعتني ؟

يا وجهك الصامد كسنديانة فخور ، من أعماق تابوتي أودّ لو أحدثك
عن عقم الأشياء ، عن اللاجدوى التي تنبع من عيون الآخرين ، عن
الغربة السحيقة التي تغلفني بآفاق من العزلة واليأس ، الحبية الظامئة في كل
كتاب قرأته ، الوميض الدليل الخفي في كل حرف انساني فخور عرفته.
ذلك المجهول الرائع ، النشوة الكبرى الحقيقية ، المعنى الخفي الكامن
وراء عقم الوجود والأشياء . أحقاً انه موجود ؟

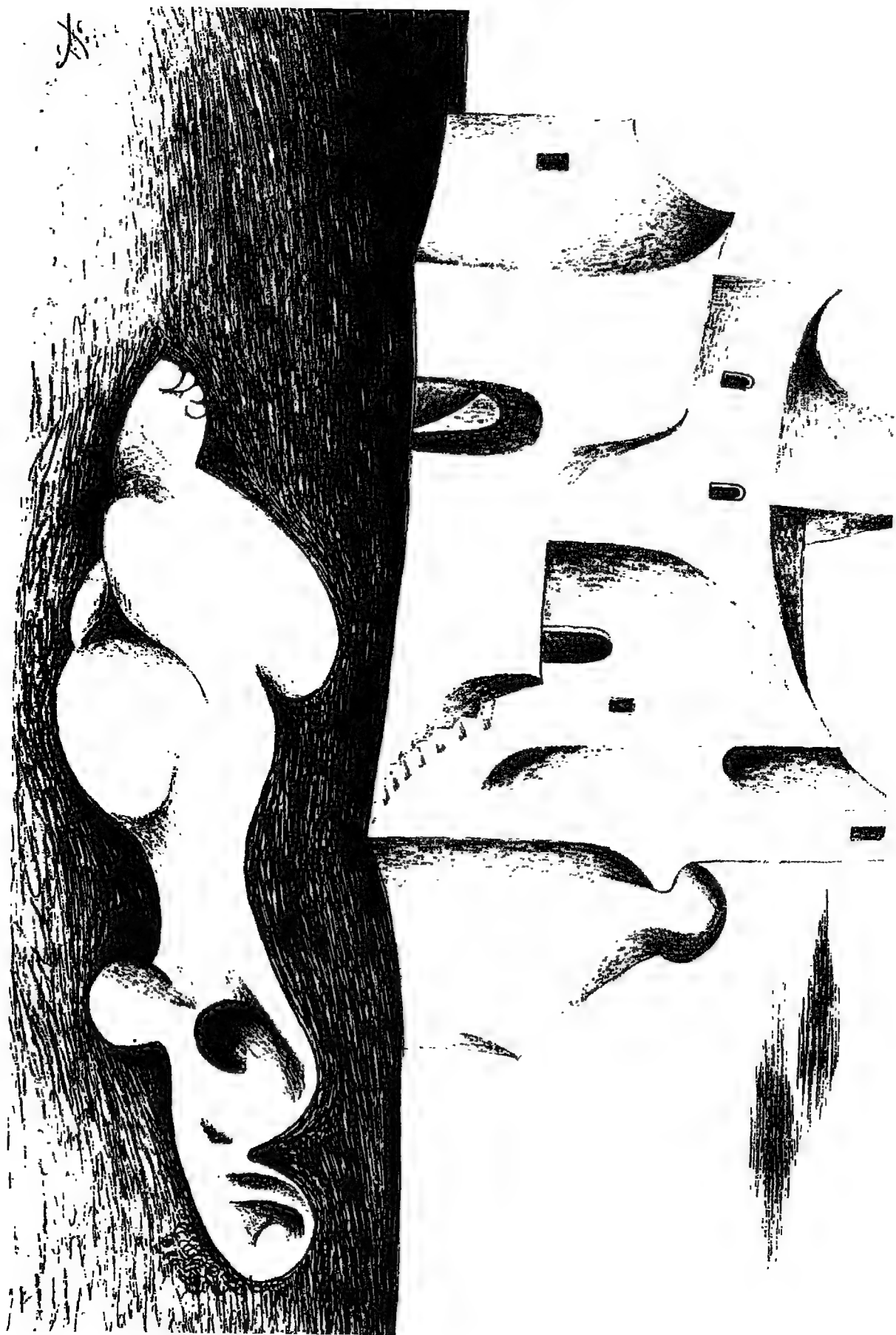
الليل وتابوتي وغربتي ..
لا شيء سوى خيوط المطر يشدني الى دنيا الأحياء . وأنا غريبة ...
شرارة في صدر الجليد .. جناح فراشة في كهف الرتبلاء ..
المطر يقرع النافذة .. ماذا لو فتحتها قبل ان أموت ؟ أفتحتها ..
ينسكب الليل طليقاً مفتوحاً كثوب غانية .. الريح تنشد .. أسمعها
تنشد .. في مجرد قدرتي على السماع نشوة .. المطر يغسل وجهي .. في
مجرد قدرتي على الاستسلام للديب أنامل المطر نشوة .. رائحة التراب المعقر
بالمطر .. رائحة طفل دافئ شبع .. في مجرد قدرتي على الشم نشوة ..
قلاع غربتي تهوي .. أنفتح للوجود كما لم أنفتح من قبل .. أحس
برغبة حارة حقيقية في أن أمتلك هذا العالم الذي يقع تحت حواسي والذي
أخلفه أنا بإدراكي كنهه .. أمنحه بركة الرائحة واللمس والصدى .. أية
حروف خرساء كان يصبح العالم لو لم أقرأه بأناملي وأهدابي ، لو لم
أحتضنه وأسبغ عليه بركة أن يوجد في خاطري ولو لبرهة واحدة .. ماذا
يكون العالم اذا لم أعد تشكيله في لوحة معبرة ناطقة مسموعة هي أنا ..
أنتشي بالحياة لمجرد أنني أحيأ ..

المدينة ما زالت هي هي .. لا نملك منها شيئاً .. والآخرين ما زالت
كل رحلة نحو وجودهم عبثاً .. لكنني لم أعد منبوذة .. روابط بدائية
تشدني الى المطر والعاصفة وأغاني الريح .. المجهول الرائع يقطن في أعماقي

منذ أعوام وأنا أبحث عنه .. هو أنا .. هو إيماني بأنني موجودة وبأنني
ضرورية كي يرتسم العالم في صفحة بحيرات أعماقي ..
من قال اني مريضة ؟

رائع هو الصباح في يوم شتوي مطير ..
رائع أن أسير .. أن أرى الآخرين في الدرب يحملون في وجوههم
أحزانهم وخيباتهم وأفراحهم الصغيرة .. رائع أن تومض عيناك في دربي
من حين الى حين .. رائع أن أكون جزءاً من هذا العالم الخالد .. رائع
أن أذهب الى عملي ..
من قال اني مرضت ذات يوم ؟

١٩٦٣



وجهك الغامض زهرة الليل الوحشية

منذ ساعات عدت يا صديقي ، ويدك ما زالت تنبض في يدي ،
وقامتك المشيقة نسمة تهب الى جانبي ، وسواد الليل ما زال يتغلغل في
سواد شعرك حتى ليتصلا ، ونخيل إلي ان حدوده ضاعت في حدودك ،
وانك قطعة من رهبة الظلمة وحتينها الى الرحيل .. وان وجهك الغامض
زهرة الليل الوحشية التي تغرق جذورها في أصقاع الصمت والتأمل ..
لما دلفنا من الزقاق المظلم الى الشارع الرئيسي المزدهم، أدركت أننا
اقتربنا من دارك .. وكان علي أن أقول أشياء كثيرة قبل أن نفرق حقاً ..
ودائماً ... وكانت كلماتي تتعثر بالدموع التي تجمعت في حلقي .. ماذا
أقول ؟ ان علينا أن نفرق ..

وقد قررنا أن نرضخ .. وتقف أمامي .. يواجهني وجهك لغزاً دامعاً
متعباً .. ومن جديد أغوص بحثاً عن كلمة .. أنا القاصة التي
تبكي المدينة لقصصها .. هذه المرة لا أستطيع أن أقول شيئاً ، وعلي أن
أبكي وحيدة من أجل قصتي الوحيدة الحقيقية .. وتهمس : «يا حلوة عندما
نفرق .. اكتبني قصتنا .. هذا رجائي الوحيد » .. وتغيب وراء الباب .
منذ ساعات عدت ويدك ما زالت تنبض في يدي، وهمساتك تحوطني
من كل مكان : عندما نفرق .. اكتبني قصتنا ..

منذ ساعات يا غريب وأنا أكتب وأمزق .. كتبت عنك ، عن نفسي :
كتبت حكايتنا مع الآلهة ، مع الآخرين .. مع أنفسنا ..
كتبت كل شيء وعدت أقرأ ما كتبت ... فغلبني اشمئزاز حقيقي
مفجع .. لو انك ترى يا غريب كيف مسخت الحروف أشياءنا .. لو
انك تحس معي عجزها عن أن تسجل ما قلناه ، وما فهمناه دون أن
نقوله .. لو انك تعرف معنى الحبيبة معنى القرف المدمر الذي غمرني ساعة
رأيت قصتنا كيف استحالت بعد ان كتبتها ..

ورميت بالقلم جانباً ورفعت يدي . خيل إليّ انها يدا مجرم ملطختان
بالدم ..

لقد اغتلتُ تجربتنا ، لقد خنتها حينما صيبتها في مثل هذا القالب
المسوخ .. يا غريب ... ان الكلمات مهما كانت صادقة تحنط التجربة
الحية الصادقة ..

يا شقي، من أعماق الهوة أهتف باسمك ، من أعماق الهوة القائمة بين
اللغة والاحساس أناديك ، فرغبتك الأخيرة في أن أكتب قصتنا لن تكون
إلا إذا خنت حيوية قصتنا وصدقها وعمقها .. ترى هل ترضى بأن أخونك
كي أحقق رغبتك ؟

يا زهرة الليل الضاربة علمني ، علمني كيف أدق الحرف يلزميلي
أعمقه ، لأغرق في أعماقه سمو حكاياتنا وأفكارنا .

كيف أحرق الحرف ، أبداع في سماءه غيمة وشمساً لتنبئ أحزاني في
قبحه صفوفاً من الاقحوان والبنفسج اللذين كنت تحب ..

علمني كيف أبعث العبير بين السطور .

كيف أرشق النقاط نجوماً دافئة في سماء ليالينا الدافئة ..

علمني كيف أروم الهوة المفجعة بين الفكرة في ذاتي والفكرة نفسها
حينما تخرج من ذاتي الى قالب اللغة ..

علمني كيف أخلق التطابق بين أحاسيسي وبين هذه الأحاسيس بعد

ان أرسمها في وجود الآخرين بحروفي .. ألا ترى اني الآن ، والآن فقط ، أدرك أنني أدبية فاشلة ؟ وان كل ما سبق وقلته كان تخطيطاً مزيفاً لتجربة زائفة .. يا غريب... ألا تفهم ؟ انني اكتشف ان العالم لم يعرف حتى اليوم عبقرياً واحداً فعلاً .. يبدو ان العباقرة الحقيقيين ماتوا جميعاً دون أن يقولوا حرفاً واحداً .. لقد كفوا عن الكتابة في اللحظة التي وجدوا فيها الحقيقة .. لقد اكتشفوا ان اللغة عاجزة عن استيعاب الحقيقة .. وكان عليهم أن يشوهوا الحقيقة كي يقولوها .. ففضلوا ان تظل في عليائها المجهولة على أن تهبط الى عوالم الآخرين مشوهة .. يا غريب .. هل تفهم ؟ اني اختار لحكايتنا الموت من بعدنا على التشويه .

ماذا أملك سوى الصمت المفجع .. محكوم علينا بالسقوط في هوة الصمت المرعبة القائمة بين الفكر واللغة .

ومن هنا أناديك لأقول لك ان يدك ما زالت تنبض في يدي وهمساتك « اكتبني قصتنا ... هذا رجائي الأخير » تحوطني من كل مكان .. لكنني لن اكتب .. لا أستطيع .. لن أخونك .. لن احنط حكايتنا .. هل تفهم ؟

١٩٦٢

دهاليز .. لا شمس فيها

حكايتنا واحدة أيها الهارب من شرفته ، الرامي بنفسه بين أحضان
قلوب الآخرين ، ماذا حصدت سوى الشوك والغثيان ؟ الرحلة ، كل
رحلة نحو وجود الآخرين فشل .. عد الى شرفتك . رمم الفجوة التي
حاولت الهرب منها بلحمك ، السلحفاة ما هربت قط من صندوقها .
السلحفاة عاقلة ! سندية السعادة اسطورة ، الصق على كل جرح ابتسامة .
امسح خد أحزانك بتورد ضحكة . ارسم اللوتس والتيلوفر على صفحة
وحشتك الراكدة .. صمت الوجود أكبر من ضوضائك .. لا تبحث عن
خيمة وواحة ، فصحارى الشرقة لا تتسع إلا لك ، وشمسها لم تخلق إلا
لتحرقك وحلك .. استسلم .. زيد العاصفة سوف يحملك في درب الفصول
الأربعة .. لتلف بك عجلة الأعوام المهترئة في ساقية العمر الضحلة ..
وأنت ستظل رغم كل شيء وحيداً وإحساس بالغربة يطعنك ..
رغم كل شيء قل لقدرك : « أتحداك بضعفي » ! ابتسم .. فالسعادة
(المقطرة) التي طالما حلمنا بها لن تكون .. سعادتنا في ان نتصر مهما
مزقنا نصرنا ، وان نعرف حقيقة وجودنا البائس، ونحبه رغم كل شيء .
حكايتنا واحدة .. أنت وأنا .
نحن الباحثون عن فرحة بكر لا تموت في عالم تموت فيه مثلنا وعهودنا

وضحككات الذين كانوا أصدقاءنا .. الممزقون شرانقنا من أجل رحلة ..
عمرنا سلسلة رحلات عجيبة للبحث عن سديانة السعادة الهرمة في جزيرتها
الاستوائية .. كلنا سندباد وليس في افقنا نجمة .. وكل رحلة خيبة وتقلص
جديد الى أضيق أبعاد وجودنا ، واظلم ركن في شرفتنا .
حكايتنا واحدة .. أنت وأنا ..

ما زلنا ندفع من أعصابنا ثمن آلهة التمر التي كنا قد خلقناها وعبدناها..
فلما طلعت الشمس عرفناها فأكلناها .. وانطلقنا نبحث عن إله جديد ..
لاثنين في موكب الحريف . مسحوقين تحت مصنفاتنا . منكمشين خلف
نظاراتنا وعقدنا . قابعين في أعماق هوات يأسنا . حالمين برنين مرساة
ذهبية في ذهول جمودنا .
حكايتنا واحدة .. ورحلاتنا متشابهة .

رحلتي الأولى بدأت منذ ثلاثة أعوام .. قرضت خيوط شرتقي وتسللت
منها .. وكان العالم رائعا والليل شالاً زنجياً تتخطر فيه أوهامي . وأنا
نسمة مراهرة من أنسام نيسان الحارة .. وقررت منذ البداية ان اصطاد
نجمة الصباح . لذا نسجت من أنجرة أحلامي شراعاً غرست صاريته في
القمر ثم امنطيت القمر وأبحرت به في أوقيانوسات السماء لاصطاد نجمة
الصباح ، نبشت مدارات الكواكب وتسللت الى كهوف الأفق ولم أجد
سديانة السعادة الهرمة . وخلفت أصدقائي وبدأت أهوي وحدي .. ورأيت
الشهب تعيش نشوة الاحتضار وسحر التلاشي الوضاء في مقلة الليل فحسدتها
لأن شراع مراهمتي خر صريعاً يوم أشرقت شمس الواقع كلهبة شعبة باهتة،
محرومة من جلال مينة الشهب وسحرها .

وانسلخت يومئذ بحدة عن ليلي العجري وخلفت ورائي ارجوحتي
الفارغة بين أشجار بلهاء الطول تنوس وتنوس ولا تجد من يمتطيها سوى
الرياح .. وكنت أسمع من بعيد غمغات الرياح حول حبالها البنفسجية ،
لم تعد أنغامها الطفولية تقنعني .. والتهمت أحد آلهة التمر التي قدستها ..

ورجعت الى فجوات شرتقي أرم فجوات بلحمي وألصق على كل جرح
بسمه .. لا أحد في الوجود يستحق شرف الشئمة بي .. واستيقظ السندباد
في أعماقي من جديد .. فقرضت شرتقي وبدأت رحلتي في عيون الآخرين ..
وكانت العيون دهاليز مظلمة ، لا شمس فيها ، لا جزيرة مرجان ،
لا سنديانة سعادة ، لا شيء سوى شهوة زهور اصطناعية الى العبير وخيبتها
وقلق عاصفة وسأم شتاء. بوحشية انفلت أقطف المحار من أسواق فارس
وخيام بغداد وأضواء بابل .. وكنت أهدق في أعين المحار بينما يزحف
في قلبي دخان خاشع . يوماً ما سأجد ان عيناً من هذه العيون اللؤلؤة
المنشودة .. هي المشاركة الانسانية الحقة التي أبدد بها وحشي وخاوفي ..
وكان المحار يتكدس تحت شرتقي .. فارغاً بارداً ، كأنه لم يسمع قط
جلال أغاني الأمواج ، وكانت التسور تمر بشرتقي لتختطف البقايا !!
وعدت الى شرتقي أرم فجواتها بلحمي وألصق على كل جرح بسمه.
كان من الصعب أن أبكي ، أنا التي تأملت حقاً ..
حكايتهما واحدة .. أنت وأنا .

عنادي هو عنادك .. وإصراري هو إصرارك .. وسندباد ظل يعود
كل مرة بلا شراع ، فلنعد الى شرتقتنا بدون تخاذل ، هزمتنا مرة حينما
اكتشفنا وحدتنا ، ومننتصر في ان نخلق الفرحة البكر من ذاتنا ، رغم
الثلج الأسود والمطر العقيم والبرعم الذي لا يزهر والزهر الذي لا يعقد .
رغم أقنعة الآخرين وموسيقى الشر في مجاملاتهم .
فالسعادة ليست سنديانة ، ليست شيئاً قائماً بذاته .. انها قدرتنا على
تطعيم شقائنا الانساني بالتماسك والرضى والتحدي .

آه يا صديقي الحبيب .. برودي

ساعة ردهتنا الكبيرة تشير الى السادسة بعد الظهر . باب دارنا يفتح .
المجنونة التي هي أنا تهبط الدرج وتغرس كعب حذاءها الرفيع في اسفلت
الشارع المنصهر . وهي تفعل هذا كلما أمرتها دقات الساعة الست بذلك .
رابطة عجيبة تشد ساقها الى العقارب السوداء البطيئة التي تركض على ما
هي عليه من بطء ، تأمر وتحرك المدينة بأكملها وهي أسيرة الجدار
المصلوبة ...

وأسير .. يلذ لي أن أتأمل الأشياء حيناً لا أكون قد نسيت نظارتي !..
الصيف في مدينتي أنامل غجرية لعوب تلون كل شيء وتعبث بكل شيء ..
تلون ثياب الحسان وتمتد بأظافرها التزقة الى اكمام الشتاء الطويلة فتمزقها
لتكشف عن أذوع بضة .. ترش الوجوه التي تومض حولي وأمامي بعرق
لزج يتبخر مع أنفاس المتعبين المسرعين الى مكان ما .. ما الذي يركض
الانسان خلفه - غير الموت - ان يلهث ويتسلق العقبات طيعي اذا كان
يعرف أين يذهب وماذا يريد . ولكن ، الى أين يذهب ؟ ولماذا أركض
وأنتثر وأناضل ؟ قلما أجرؤ على أن أسأل نفسي هذا السؤال .. مرساتي
أحملها منذ مددت يدي نحو المجهول بلهفة ، بحثاً عن وتد أتمسك به في
عدمية الزيف .. مرساتي ثقيلة تلسع ظهري حينما تقسو الشمس ..



مرساتي عنيدة تجرح الأشياء وتعريها ثم تلفظها . مرافئ المستنقعات لم تغرّها . المستنقع ساحر في ضوء القمر ، الزهور المرمية في حوض مياهه الراكدة تثير الخيال الأعشى .. برود الليل يخنق عفونة الماء ، وظلمته تخفي ضحالة الزوايا وما يدب فيها . قمر الخيالات والحب السطحي الذي تبدأ حدوده عند ربطة عنق أنيقة وتنتهي عند ربطة حذاء جديد .

ومرساتي تهوى حرارة التجربة ومرارتها ، لأنها تضيء بالرغم من انها تحرق . ولأنها حينما تضيء تكشف عن ديدان المستنقع المخاتلة وعن تلون المستنقع وهوامه ..

مرساتي هجرت مرافئ الضجيج لأن فأر المطبخ يملأ الدنيا ضجيجاً اذا حرك ذنبه قرب الأوعية النحاسية .

يا مرافئ الدفء والأمن والحنان .. يا ضائعة في خلجان شرقية مزهرة الأفق .. يا غارقة في روحانية ليل صامت .. لماذا ولدت الحقيقة خرساء؟ لماذا تكون أعتم المياه أثقلها ضجيجاً .. يا غموض رجولة حارة كالتوابل .. أنتظر مرساتي فقد أثقلها حنين الحديد المحمى الى فحيح النشوة عندما يغمس في الماء ..

وأحاول أن أمزق حنيني الى الأشياء الغالية البعيدة .. وأعود أتأمل الناس . أكتشف انني وصلت الى المكتب المنتصب أمام بردى في عمارة شاهقة .. أرى الناس قد تجمعوا حوله .. عشرون عاملاً يدفنونهم !! .. خسون ماراً يشيعونه متفرجين بلامبالاة بلهاء على صديقي الذي سهروا عند ضفافه .. صديقي الذي طالما واساهم ورطب وجوههم الجافة وانطلق من (بحراتهم) في السهرات الحلوة شلال ضياء .. بردى ... انهم يغطونه ! .. لماذا ؟ نافلتني المسكينة ماذا فعلت حتى يتزعوا من صدرها أجمل ما تتحلى به ؟ .. لن أنظر خلالها مستنجدة بعد اليوم لأن صديقي يرحل الى أعماق الأرض .. آه كيف تجمع الناس حوله بفضول كأنه مشنوق في ساحة

المرجة .. آه فكوك الآلة الضخمة كيف تمحو التراب بين أسنانها وتهيله..
 آه نهري الوديع الذي ظل أبداً يحترق الشارع مجنون الحركة ، ويتفرق
 بصفاء انساني كان يغمرني بالدعة والعزاء، بينما تزعق الحافلات موتورة..
 ويحرك الشرطي يديه فينسكب سيل من السيارات يصطدم بعضها ويعول
 البعض الآخر مع نواح عربية الاسعاف .. الأكداس البشرية تتلاطم مسعورة
 لاهثة في سباق أبدي مع الساعات التي تعبثها بنفسها، كأنها أحق يسابق ظله !..
 صديقي ظل وحده يتفرق بصفاء .. ببساطة صامتة .. يطوي في
 أعماقه حكايا حزينة وحكايا ضاحكة .. الشهداء الذين شقوهم أمامه في
 ساحة المرجة أسروا له بالكثير قبل وفاتهم . الثوار الذين هاجموا السرايا
 النائمة الى جانبه ليمزقوا الفرنسيين غسلوا جراحهم في طهره ووفاته ...
 العشاق الذين تعاهدوا بين خمائله .. وليالي معرض دمشق ..
 آه نهري الصديق لماذا يدفنون آخر خيط يشد عمري الأهوج الى الصفاء؟
 رغم اني أعرف رأي خبراء الصحة في دفتك (يسمونها تغطيتك) ..
 رغم اني أعرف رأي خبراء المواصلات في ذلك، ورأي المهندس والميكانيكي
 وشرطي السير .. رغم كل شيء، أبكيك يا صديقي الصامت الوفي وتبكيك
 طفولتي المحزونة ..

١٩٦٢

الى .. مليونير تافه

السيد المليونير ...

أنا كاهنة الصمت . طفلة هرمة في الصحارى المقفرة ، وحيدة كصدفة مهجورة . أحب الوجوه العارية وأكره للذهب والنفاق ..

شراعي ؟ لمن أرفع شراعي ما دامت الرياح قد مانت ؟ لمن تزج عيناى وأهدابها خيوط صقيع ؟ لمن اسجد ومثلي مصلوبة فوق ألسنة التافهين ؟

لمن يا زهر الليمون تنشر عطرك الدافئ نداءً ليليكياً مبهماً في عتمة غرفتي الصغيرة ؟

أي باب عدت تفرع أيها الغريب ؟ كيف تجرؤ على أن تعود ؟ تطل أسنانك الصفرة المدببة خلف ضحكك الرخوة .

لماذا أصافحك ؟ اني أعرفك . لا تقرب ، لست دمية في سوق الجوارى ، لست من رعاياك .

اقتعتك الملونة لا تخدعني ، ثيابك سوداء وذاتك ضحلة وذاهبك لا يبرر تفاهتك ، لا أستطيع أن اتحمل حديثك وتملقك وأنت تباهي الوقت بطوله بألوان الربيع في ذاتك كما يفعلون جميعاً . لقد اكتشفتك فنبذتك .. أجل ! اني وحيدة وحزينة ، لا تقرب ، في عينيك لا تضيء منارتي ..

يا ابن اسفلت المدينة ، يا ابن الطحالب ، يا رجلاً بلا جذور .. ماذا
تستطيع أن تمنح طفولتي وكهولتي ، أي شباب تذكي كلماتك المزيقة في ذاتي؟
أعرف أنك تخدعني ، اني أتجاهل ، لا أبالي ، اني واجهتك بالبلاهة ،
ياالتغابي ، حتى سئمت .

فلتسقط أفنعتك الملونة المذهبة ! أعرف أنك مزيّف ، فلتذر الرياح
ضحكاتك وحكاياك ! اني لن أصافحك ! أثير فضولك ؟. تريد أن تسمع
حكاية عزلي ؟ فليكن ، ما دمت لن تفهم شيئاً !

ذات أمس هو يومي وهو كل يوم ، كنت طفلة تحب القمر الذي
يولد من قرميد البيوت في مزرعة صغيرة .

وكان كل شيء ملوناً ، وكانت وجوه أهل المزرعة وثيابهم وذواتهم
رائعة الألوان ، فكانت الضحكات ملونة والحكايا ملونة تغسلها أمطار
الشتاء ورياحها فما تزول الألوان من الأشياء وانما تزداد أصالة وتعتقاً .

قالت لي أمي : حذار من الهرب ...

ولأنها حذرتني هربت . قررت أن أكتشف المدينة الملاصقة التي سمعت
عنها طويلاً والتي طال ما تأملت أسوارها الفضية المتوهجة في السحيق
السحيق .

بنزقي الأهوج الى المجهول ، بطفولتي الملونة ، بثيابي الملونة طرت
الى المدينة .. كان كل شيء مخضباً بدخان رمادي حزين .. وكان الآخرون
يمرون بني كالأشباح .. وأدركت في لحظة رعب حقيقية ان لا ربيع في
المدينة .. لا ألوان في الوجوه والنفوس والأشياء .

قلت في نفسي . سوف انتظر حتى يطلع الفجر ثم أقف في مكان ما
لامنحهم أغنياتي .. علمتني قريني العطاء .

وانتظرت طويلاً .. كانت الشمس تطلع وتدور في قبة الفضاء ثم
تنفق ولا تضيء .. وسمعت العابرين يمتدحون جامها ... فذهلت .. لو

انهم يعرفون الشمس حقاً ! وأدركت ان لا فجر في المدينة ورغم كل شيء قررت ان لا أهزم ، وان أغني .
ولما وقفت في الساحة الكبيرة وأنشدت بعفوية وبساطة أغنياتي الملونة ، تجمع أهل المدينة حولي يتحسسون ثيابي وطفولتي برعب حاقده . قلت في نفسي : « لا ريب في ان ألواني تدهشهم . سوف أرشدهم الى قريتي ، الى حيث تتفجر الألوان تحت الشمس » .
وتشاور أهل المدينة قليلاً ثم هتف كبيرهم : ان ثيابها .. وأغنياتها رمادية، انها قبيحة .

صرخت : أنتم لا تفهموني .. الحقيقة ..
قاطعوني : الحقيقة هي الأمر الواقع !
صرخت : حاولوا أن تفهموا كي تكتشفوا أشياء جديدة .
قالوا : ليس في الإمكان أبدع مما كان !
قلت : دعوني أعد ..
قالوا : من دخل المدينة مرة أغلقت عليه أسوارها الى الأبد .
قلت : سوف أبقى ، لكنني أرفضكم .
قالوا : نحن ، أو صحارى الصمت، هذا كل ما تضمه أسوار المدينة.
انهم يكرهوني لأنني لا أشبههم ، ان علي أن أصبغ ذاتي بالأسود ، وان اصبغ ثيابي وأغنياتي بالأسود، ثم ادعي انها هي في ذاتي أو تنفيني المدينة الى صحارى الصمت، ورفضت أن اصبغ ثيابي وأغنياتي ! واخترت صحارى الصمت .

وبدأت أصلي : يا صمت ، يا ابن الآلهة .
اغرس جذورك في أرض الحقيقة الصلبة ، اغرس جذورك في دنيا الجبروت اللامبالية . دعها تمتص كلمات بلا ثمن ، وأفراحاً ملونة عتقت عصوراً في كؤوس اغريقية مرمية، يا صمت يا ابن الآلهة ، لماذا ولدت الحقيقة لأب غير شرعي فإذا بها تطرد من باب الى باب، وإذا بها تهان

وتدان في مدينة القيم المتعفة ؟

يا صمت يا ابن الآلهة، اني هنا كاهنة جديدة .

إقطع لساني كي لا يضعف مرة عن قول الحق ، مزق جسدي كي لا تغريه توابيت الذهب المعلقة، واقتلع عيني قبل أن أبدلها بماسيتين وهاجيتين،
يا صمت ، برعب ميلاد الحقيقة في نفسي أسجد لكونك الرحب، للوجه العارية أينما كانت ، دعني هكذا ، كيأنا لا يدرك بالحواس المعتادة ،
كيأنا مبهاً : ضبابية متفجرة الألوان تحدث قيمهم ومفاهيمهم ورحبت بصحاري الصمت ، يا صمت العزلة ، دعهم يثرثرون ، حديثهم من نوع لا يسمعه إلا من يقوله ! دارتهم مغلقة بلا شحنات عطاء .
لك وحدك ، للحقيقة في ذاتك أسجد .

وهكذا أيها الغريب المتأنق .

لما اقتربت مني ، لما غرقت في قالبك (السموكن) وابتلعت أقراصك المغذية، ثم هست بكلمات (كازانوقا) في أذني ، لما ظننت انك سحرتني ، وحملت راية دون كيشوت ومددتها على صخوري شارة نصر ... واجهتك بالصمت ، هل رأيت كيف يرقب نسر دودة تتسلق السفح لتغزو عشه؟!
لما ظننت انك تحدعني، ان شعري المتناثر في الحفل مدارات في فلكك، كنت ازداد إيماناً بأن لا مفر لي من صحاري الصمت ، وان تبرك في دنيائي لا يعني شيئاً ، وانني لن أحبك ، ولن أحبك إلا إذا رضيتُ بأن أبدل عيني بماسيتين وهاجيتين من سوق المدينة .
ورفضت . اني لن اصبح ثيابي بالسواد ثم اتباهى بألوانها الموهومة كما تفعل أنت، مهما كان الثمن .. هل تفهم ؟
كاهنات الصمت يحترقن رجال الطحالب المذهبة ، يا عفن التبر !

يا صمت، يا ابن آلهة العزلة وسجانات الحقيقة، اني هنا كاهنة جديدة .

كل يوم يطل طارق جديد .
بين شفّتيه حكايا كازانوفاف ، وفي جيبه راية دون كيشوت ، عيناه ماستان
وهاجتان يرى الأشياء خلّالهما ، ووجهه زغم أقنعتة الملونة رمادي .
كل يوم يطل طارق جديد ، ماذا أجيب ؟
وأنا ما زلت كاهنة الصمت والعزلة ، طفلة الصحارى الملونة التي تحب
الوجوه العارية وتكره الذهب والنفاق .
شراعي ؟ لمن أرفع شراعي ما دامت الرياح قد ماتت ؟
لمن تهزج عينايا وأهداياها خيوط صقيع ؟
لمن يا زهر الليمون تنشر عطرك الدافئ نداء ليلكيا مبهما في عتمة
غرفتي الصغيرة ؟

١٩٦٢



رسالة إلى « لا أحد »

يا صديقي !

حينما نشعر بأننا جمرات نثرتها الآلهة في صقيع العلاقات البشرية لتفنى ببطء ... حينما نشعر اننا فترات صمت داعم في ضجيج المدينة الملون بأضواء الاعلانات .. حينما تتخاذل عضلات وجوهنا فترفض أن تضحك أو تعبس أو تعبر عن أي شيء معتاد يفهمه الآخرون .. حينما يحرمنا الله — ولو ثواني معدودات — من نعمة التفاهة وطمأنينة الجهل ، ندرك أن لا مفر من لحظات رعب العدم المطلق .. تلك اللحظات التي نواجه فيها بجدية أسئلة عجيبة: من أنا ؟ ماذا بعد ؟ ما معنى أن أكون ؟ ماذا أريد من الآخرين ؟

إنها لحظات ما وراء الحب ، ما وراء الغريزة ، ما وراء التخدير والصدقة .. وندرك اننا رغم الأم الطيبة وماسح الأحذية الذي يقبع عند أقدامنا بصمت ، وصبي البقال الأعرج ومؤتمرات نزع السلاح ، وحكاياتنا الشاحبة والمنوهجة، على الرغم من كل شيء نعيش لذعات أسى حقيقية ، لذعات انفصال تام .. هنالك شيء ما ، شيء حزين قابع في مكان ما.. هنالك آدم أعزل مجهول يواجه مصيره العادي بكبرياته العارية .. هنالك شيء ما .. قابع في زاوية ضيقة من أغوار انسانيتنا حيث تمتد أصقاع شاسعة من الوحشة والحنين المتكبر الغامض ... أعماق عجيبة الانسلاخ

عن حياتنا العادية ، لا تطولها أمواج الحب ولا الصداقة ولا تقوى على خرق عزلتها الأصيلة سعادة زواج أو دفء مجتمع ودود .. أعماق يضحج بؤسها بالكبرياء ، بالعناد ، بالمكابرة ، بالإصرار على اليأس من وجود ذرتين متجاذبتين حقاً في كوننا كله ..

إنها آفاق الرعب الحقيقي ، أعماقنا البكر ...

أما تمنيت أحياناً في ثورات غربة عميقة الجذور أن تقول شيئاً ما ؟ أن تبحث عن شيء ما في المجهول ، في الصمت ، في اللاشيء ؟ أما أحسست مرة بحنين الأعماق البكر الى لذة الاعتراف أمام عينين غريبتين لا تدري أي مجهول فيهما استهوى مجاهلك ؟ أما أحسست مرة بالتهافت على نشوة الانبلاج في نفس لا تدري كيف أثرت على نفسك .. لا تدري لماذا هي بالذات أسرتك ؟ كأنما كنتما صديقين منذ دهور قبل أن يوجد الآخرون وأنظمتهم وشرائعهم .. انك لا تريد صداقة .. لا تريد حباً .. لا تريد شيئاً أطلقت عليه أسماء .. لا تريد أحاسيس استهلكك .. لا تريد انفعالات وجدت في صدر انسان قبل أن تخلق في صدرك .. أعماقك البكر تبحث عن كلمات بكر ، علاقة بكر تستطيع أن تتجاوز أسوارها العجيبة .. ويمر القطار سريعاً .. لا نستطيع أن نغسل في النهر نفسه مرتين .. ينطفئ الشهاب وتشترق من جديد .. تفرق ذاتنا في ذعر ذاتنا .. الرعب في الأعماق البكر يبتلع كل سراب ..

ماذا نقول حينما نتصرف كالناس المذهبين ، لكننا حين تواجهنا وجوه أحب الناس إلينا نكتشف أحياناً أنها مسطحة بلا أبعاد، أحييناها لأنه كان علينا أن نحبها ، بينما تكامل الحقيقة في العميق العميق وتبعث بأصدائها الى دنيا وعينا : ماذا تستطيع الوجوه المسطحة المسوخة أن تمنح ؟

ونحسد السعداء ، الذين يحملون أعماقهم البكر مهمة منسية .. ان أعماقنا البكر تنمو يوماً بعد يوم نمواً سرطانياً مرعباً وتكاد تغطي معالمنا النفسية بأكملها .. اننا ننكر بإخلاص اننا عرفنا انساناً قط من قبل ..

نتماسك بؤساء نحن لكننا لا نجرؤ على أن نقول ذلك، فن المقروض
اننا سعداء ... القطيع سعيد أبداً .. يتمرغ في وجود قطباه قصعة طعام
وفراش ... يتهامس عنا .. نحن المرضى النادرين في المدينة الموبوءة ،
الذين يدركون انهم مرضى حقاً ...

ماذا نقول للسعداء الذين يحملون طاعونهم جاهلين هائنين ؟ كيف نحدثهم
عن سعادتنا يوم تبرعم في رعب أعماقنا شمس ما ؟ كيف نحدثهم عن
الطمأنينة وهم الذين ما عرفوا القلق ؟ كيف نحدثهم عن الشفاء وهم الذين
ما أدركوا قط انهم مرضى ؟
ترانا نرضى بأن نحدثهم يوم تبرعم شمس في أعماقنا ؟

١٩٦٢

أُمِّي يَا مَوْلُوءَةُ لَن تَعُود

وراء رتابة حكاياتنا المسحوقة فوق جدران النوادي ، وراء ذعر أعيننا ،
وحقد أعين الآخرين المغروسة في نفوسنا ..
وراء خوفنا من لا شيء ومن كل شيء ..
وراء أزماتنا المبطونة وضحكاتنا الهلامية ..
وراء أفئتنا الموناليزية والكرامازوفية ..
وراء هذا كله تنكمش (الأنا) في مهرجانات الرقيق والكوكتيل ..
فإذا نحن آلهة ممسوخة في مرآبع الرياء .. أعيننا أنيقة ملونة ، لكنها بلا
نبض ، بلا وهج ، بلا حياة .. تراحها عيون الآخرين في وجوهنا
وضمائرنا .. وإذا نحن حصيلة مشوهة لتشوه الآخرين .. وإذا (الأنا)
مصلوبة في أعماقنا .. وإذا الحقيقة ، حقيقتنا ؟ وشم من جمر يدمغ
الأنا .. يلسعنا .. يمزقنا ..
لكننا جبناء .
لكن عروقنا جذور خوف اعتادت صداقة الطحالب ..
ولكن الأرض الحقيقية ضاعت في زلزال القيم ..
لكننا نحن لم نعد نحن .. هل تجرؤ ، هل تجرؤ حقاً على أن تقول
ما تريد ؟

فلنرفع أقنعتنا ولنبصق ضحكاتنا .. ولنقف في الريح كأعواد القصب ..
عارين إلا من حقيقتنا .. عارين إلا من وشم الجمر .. يا أنت ، يا جمرة
في وشم الجمر .. عيناك كالرمح وخازتان .. أحضنهما منذ طفولتي ..
منذ بكى شاعر وناحت نجمة ، وقالوا انك رحلت .. عيناك كالندم
مؤلمتان .. جمرة في وشم الجمر صورتك .. أحملها لعنة محببة .. وأظل
أرقص لامبالية في مهرجان الرقيق والرياء .. من يجرؤ على تعرية وشم
الجمر .. من يجرؤ على أن يقول : هذا أنا ؟

فلنرفع أقنعتنا ولنبصق ضحكاتنا .
الثلج يحتضن المدينة .. يحتضن الدرب الى الغوطة والجبل الأسمر ..
غرفتھا مغارة تبغ وعرق مضيء .. شفتاه عجيبة من حكايا علي بابا ،
تسفحان السأم والحنين .. أيامه مكدسة بين نيران المدفأة التي أغمضت عيونها
إلا عيناً ظلت تسكب وميض اللهب .. وكان يثرثر .. يكذب .. يثرثر
الطيب .. والريح في الخواء تهزج ساخرة ..
سمعتة يقول لها : أستطيع أن أخرج الى العاصفة عارياً من أجل
عينيك .. أسير في درب الثلوج حتى الجبل وأقطف لك أعشاش النسور ..
وضحكت وهي تقول : أخرج الى الناس عارياً من أقنعتك .. لأجلي ..
هل تجرؤ ؟! هل تجرؤ على القول انك تكره زوجتك ؟ وتحبني أنا ؟
لم يجب . ظلت تضحك . ضحكاتها الشيطانية تملأه بإحساس من
حقد مبهم عليها ، وانجذاب خفي خيف اليها ..
يكرهها لأنها تجرؤ على أن تتحدى عيون الآخرين التي غرسوها فيها ،
وعلى أن تكون نفسها .. ولأنه استطاع أن يكون كل شيء وأي شيء ..
إلا نفسه !

فلنقف في الريح كأعواد القصب .. عارين إلا من حقيقتنا ..

يا أنت يا جمرة في وشم الجمر .. لماذا لأقول لهم اني وحيدة وحزينة ؟
قبرك محارة يا لؤلؤة لن تعود .. صائد اللؤلؤ والمرجان رحل .. للم
أوتاره ولفافاته ورحل ... يا أمي يا جمرة في وشم الجمر .. أعين
الآخرين في نفسي تمزقي ، تنهشي ، تصلبني رغم إيماني بأن ما يمليه وشم
الجمر هو وحده الحقيقة والصواب .. وأنا أضاحكهم رغم كل شيء في
مواكب القطيع منذ دهور .. يا غصبة دواة يسكبون حبرها لصبغ حذاء ..
هكذا يولد الرعد بعد أن تنام المدينة !
انطق يا وشم الجمر بعد أن تنام المدينة .. منك ، منك وحدك . ،
من عارك وحقدهم ، من صدقك وكذبهم ، من جبروت ضعفك وسمو
سقطتك ، من عريك ينبض الحرف ويتوهج ..
انطق يا وشم الجمر ، فجيل الخفاش ما زال ينسج شباك العدم بين
المكتب والمقهى ..
انطق يا وشم الجمر ، عيناه كالرمح تمزقاني ، تلهباني ، والآخرين
يزرعون أحقادهم وجواسيسهم وآراءهم في نفسي .. انطق يا وشم الجمر
لتنعري أنا بصدق في دوامات الوجود .. لن ينهش من إخلاصها جيل
الخفاش .. لماذا لا أقول لهم اني وحيدة وحزينة ؟

١٩٦١

ما في حدا .. لا تندهي .. ما في حدا

الصقيع العالق بين اهدابنا بدأ يذوب .. لماذا لا نرفع القناع قليلاً
لنمسح دموعنا ؟ طويلاً ضحكنا وتشاجرنا وعشنا وما زلنا نضحك ..
تحدثنا عن كامو والتصخم النقدي وثوب - لولو - عاري الظهر ومعجون
الأسنان الجديد، ولم نتعب .. يرقصون حذاء يطأ على حذاء ..
لكن الصقيع العالق بين أهدابنا بدأ يذوب .. لماذا لا نرفع القناع قليلاً
لنمسح دموعنا ؟

أحدهم يخاطب قناعي ويقول له - هل تسمحين بهذه الرقصة - ؟
اسمعه يجيب : شكراً لك .. لا أحب أن أرقص ...
وأغيب عن الجميع ... اخلفهم مع موسيقاهم وعظورهم ومشاكلهم ...
لم أعد اسمع سوى صوت فيروز الذي يصلني متتجاً في خواء شيطاني .
ويحملني ليرمي بي الى كهف رعب ووحشة وظلال ... اسمعه يثن :

ما في حدا ... لا تندهي ، ما في حدا ...
عتمة الطريق .. وطير طاير عا الهدا ..
بابهم مسكر .. والعشب غطى الدرج ..
شو أولكم .. شو أولكم .. صاروا صدى .
وما في حدا ...

وينبسط درب المصير أمامي .. مظلماً مغرقاً في الوحشة .. السماء تندب
نجومها التي انتحرت .. لا يؤنس وحشتها سوى طير ضال عبثاً يبحث
عن غيمة يغازلها .. وأسير .. داره تلوح من بعيد ... اتسلق درجات
معشوشية رطبة .. الطحالب تتمزق تحت قدمي العاريتين ، وأحسها ديداناً
هرمة انسلت من قبر ما .. وأشعر اني انزلق وأترنح وأهوي وأدمى
وأتسلق .. هذا الباب يجب أن أدقه وان كنت واثقة من ان أحداً لن
يجيب .. وأظلم أتمزق واصعد بنزوة الشباب الى المجهول ، بحيني المجنون
الى ما وراء الأبواب المغلقة .. لكنهم رحلوا والباب قد نسي كيف
ينفجر .. وتميد الأشياء وأهوي .. يتلغني صمت كهوف لم يلثم فيها المغفور
ضياء .. وأهوي عصوراً من عذاب .. لا أحد سوى وحشة سنونو أضاع
ربيعه .. الدموع تسد منافذ القناع .. يجب أن لا أبكي لثلا أفسد كحله
المقنن .. وتصرخ فيروز من جديد :

مع مين بذك ترجعي بعمة طريق ..
لا شاعلة دارهم ولا عندك رفيق ..
يا ريت ضوينا القنديل العتيق ...
بالقنطرة ، يمكن حدا كان اهتدى
وما في حدا !

ويمتد درب الرعب من جديد .. أذكر انه كان الى يمينها شاطئ
أسود الرمال أبيض الزبد .. وكان للشاطئ شمس تفتتح في أحضانها السماوية
كوردة بركان حمراء قبل أن تغرب عن الشاطئ الأسود .. وكان الى
يسار الطريق غابة وقر عابث يلهو بأراجيح الغمام .. وكانت الألحان
الوديعة والضحكات وشهقات الفرحة الطفولية تنفجر من كل شيء ..
وعيناه بالقرب مني ، ليل منمنم يغمرني طيب دفته ... لم يبق سواي
في الدرب المظلم البعيد وقد بللني مطر مالح كالدموع ..
« مع مين بذك ترجعي بعمة طريق » ...

وأحس يدي جافة كأشواك ما عرفت ما الندى .. يدي متعبة وضالة
وضيئلة .. كيف أعود ؟ والى أين ؟ وأذكر حكايًا جدتي عن ليلي التي
ضلت طريقها في الغابة .. وأذكر أسفي ورعي من أجلها .. ويغمرني
إحساس طفولي عتيق بأنني أنا ليلي ، وان أطفال العالم جميعاً ما حزنوا
إلا من أجلي .. كان لي قنديل صغير .. أين القنديل .. تنشع فيروز :
يا ريت ضوينا القنديل العتيق بالقنطرة ..

يمكن حدا .. كان اهتدى

وما في حدا ...

وأتمش بقنديلي .. الصدا قد أكل خديه .. الريح تلعق فتيله الجاف ..
وأحميه بجسدي من المطر كي اشعله . لهبته تترنج بيؤس غانية عجوز ثم
تنطفئ .. لا زيت فيه .. لا حياة فيه .. لا شيء سوى وحدة ووحشة
وخيبة ملتاعة ...

ويوقظني صوت حبيب الى نفسي ، صوت أبي يقول: لماذا لا ترقصين؟
وأجيبه وأنا أحس اني متعبة : لأنه ... لأنه — ما في حدا — !
ويضحك الأصدقاء . يسم قناعي لهم كما ينفرج فم حصان ملجوم ...
لو استطعت ان أزيح هذا القناع ، لو استطعت لمسحت دمة .

١٩٦١



دع المساء الخريفي ينسكب

في فجوات العيون المتعبة

يا إلهي .. رحلة الصمت في صحارى الصبار أدمت وجودي وما ظفرت
بواحة جواب .. لعنة (فاوست) تنبض في عروقي .. رأيت مصلوباً فوق
الصبار قرب شهر يار .. افسح لي مكاناً بينها .. لن أهرب !
يا إلهي .. دع المساء الخريفي ينسكب من فجوات العيون المتعبة ليغمر
غموض أسئلتها بغموضه المخدر .. دع السحب تنبت في سمائنا وفي جفوننا..
تبرعم مطراً ينعش خيبة الضالين في متاهات اللاجواب .. الباحثين عن
الحقيقة .. الحاملين « لماذا ؟ » في موكب الثورة على وجود قطباه قصعة
طدام وفراش .. المسحوقين تحت أثقال « لماذا ؟ » وصمت « لماذا ؟ » ..
دوام الحياة اليومية وما تفرضه علينا من التزامات طالما ابتلعتنا ..
فتوطدت صداقتنا مكرهين مع المنبه والمفكرة ولفافات التبغ ..
سجدنا لبلاهة الدوام في أفخر المطاعم . تشاجرنا . التقينا . سثمنا .
تحدثنا عن قطعة ميمي وفلسفة سارتر وزيت الشعر الجديد .. سثمنا .
تلذذنا بسخافاتنا وثيابنا الجديدة . أحنينا رؤوسنا لشرطي السير .. أغرقنا
الدوام في ضجيجها المخدر . فاستسلمنا لسكرتنا البلهاء هرباً من صحواتنا
العقيمة ..

ما الذي يوقظنا من حين الى حين ؟ نترك مدينتنا ودوامتنا ونندلف في دروب صحارى الصبار باحثين عن شيطان نكتب له صكاً بدمنا ؟..
ما الذي يوقظ في أعماقنا شراسة وعمل بري يريد أن يحترق الغابة ليعرف ما وراءها ، فيعلق قرناته في كثافة الأغصان الملتوية كملايين إشارات الاستفهام .. فيقف حزينا كحسرة العقل الباحث عن جواب في مدارات النجوم بينا قيود البشرية البهيمية تشده الى التراب ..
ما الذي يوقظنا بين فترة وأخرى على بلاهة أيامنا ورتابتها ؟ حين نشعر فجأة ان الدوامة لم تعد تعنينا . وان الروابط الاجتماعية كافة خيوط عنكبوتية مفتعلة ..

نقف عارين من شهادتنا وألقابنا في صحراء الصمت المجذبة ، نتلفت بارتياح والوعل البدائي في أعماقنا بصرخ : لماذا وجدنا ؟ من نحن ؟ الى أين ؟ لماذا لا نستطيع أن نرفض الموت ؟ وننبش الأرض بأصابعنا بحثاً عن جواب .. الأرض لا تلد إلا الديدان والصمت .. وأسئلتنا تنبت في صحارى اللاجواب غابات من صبار .. ونرى فاوست مصلوباً فوق الصبار وقد أفسح لنا مكاناً بينه وبين شهريار .. لن نهرب !
ذات ليلة ..

كنت أقرأ عن انسان اسمه « فرويد » قال انه وجد الجواب والعلّة الأولى لكل شيء .. وقررت .. اذا تأكدت من أن فرويد وجد الجواب فسوف أنتحر ..

وقال انسان اسمه داروين انه وجد الجواب ..

وقال كثيرون انهم وجدوا الجواب .. واكتشفت انهم كانوا يغيرون في صيغة السؤال .. يعقدون ويدورون حول استدارة صحارى الصبار واللاجلوى .. وتعلمت الا اصدق شيئاً .. وتعلمت ان اهرب .. اهرب من رعب السؤال وطلاسم الجواب الى دوامة الحياة اليومية .. لأغرق في الحديث عن قطة ميمي وفلسفة كامو واسبح في صحن حساء شفاف في

أفخر مطاعم المدينة .. يا أصدقاء في فجر الصحوات الممزقة .. يا غرباء ..
يا غارقين في شرائق الوحشة والعزلة ، وحدكم أجائي .. مثلي تقاسون .
وصمم الوجود وصمت الوجود ينفياننا الى عقم صحارى الصبار واللاجواب ..
يا نحن .. يا حسرة آلهة محكوم عليها بأن تجوع وتئلم وتموت .. لا مفر
من ذل سلاسل قصعة الطعام والفراش .. محكوم علينا بأن نهزم .. لكننا
سننتصر بأن نتحدى رغم إيماننا سلفاً بأننا مهزومون .. وسنبعث ، ننبش
أعواد الصبار بأيدينا وأهدابنا .. رغم إيماننا بأن لا جواب .. يا أنا ..
يا عنيدة المجهول .. لو وجدت شيطان الحقيقة لوقعت أي صك ولما رفضت
أي مصير .. بين فاوست وشهريار متسع لنا جميعاً .. لن نهرب ، لكننا
لن نرفض .. قد يكون ضرورياً ان تظل هنالك أسئلة بلا جواب كي
نستمر في الحياة والكفاح والبحث ..

يا إلهي ! دع المساء الحريفي ينسكب من فجوات أعيننا المتعبة ،
ليغمر غموض استلتها بغموضه المخدر .. دع السحب تثبت في سماننا وفي
جفوننا .. تبرعم مطراً ينعش خيبتنا ، نحن الضالين في متاهات اللاجواب.

١٩٦١



لأن أرا نبي البيض .. ماتت

أخي سلمان
لم أعد أخشى شيئاً ، لأن أرا نبي البيض مات أمام عيني ، ولأني
بكيته ودفنتها .. ولأني مع ذلك نجوت ..
أرا نبي البيض . تلك الأرناب التي تحدث عنها جيورجيو في (الساعة
الخامسة والعشرون) ..

الأرناب التي يحملها الرجال معهم في الغواصات، وعندما تبدأ بالاحتضار
يعرفون انهم لن يستطيعوا البقاء تحت سطح الماء أحياء أكثر من ست
ساعات أخرى ؟!

متى وكيف ماتت ؟
كان ذلك في مثل هذا اليوم منذ عام .. كنت منهدة في غرفة كتيبة ،
وأمامي أكدا س من الكتب لم أقرأ أكثرها .. وشبح الامتحان القريب
يتأرجح مع نسيمات الصيف في طيات الستائر .. وأنا وحيدة .. مريضة ..
ذابلة .. أترنح كشجرة عجوز سودتها الصاعقة .. قد بلغت نقطة الصفر ..
نقطة التلاشي ...

دهمتني الشيخوخة قبل العشرين .. كنت أهوي الى أعماق أخاديد الوحشة
والأسى .. وأرا نبي البيض .. لو رأيت توجعها ولهاثها .. لو عرفت أينها

وحشرجتها وهي تحتضر .. أمام عيني تحتضر .. كثير من الأرانب البيض
التي ولدت معي .. حبت معي .. ذهبت معي الى مدرستي وضحكت كما
لم يضحك طفل لتخايبتي وألاعيبتي .. عاشت معي أول حب وأول خيبة
وأول غثيان .. قالوا لي صلي من أجل أرانبك البيض كي لا تموت ..
وصليت .. السماء ظلت قبة فولاذ رمادية .. النجوم هاجرت كي لا ترى
موت أرانبي البيض .. أحدها خر الى الأرض موجعاً فابتلعت الظلمة
رماده وضياهه .. حاولت أن أكون فتاة طيبة كما علموني كي لا تموت
أرانبي البيض .. كي تظل أبداً عيونها الخرزية لكآبتي .. تملأني بسعادة
تفوح منها رائحة تراب ضمخه المطر ..

أيام طويلة ونحن نعيش في جو أصفر ، مريض ، مسعور الظلال
كغروب في مدينة روعها الطاعون .. أيام طويلة والذين كان لهم في قلبنا
موضع يتجاهلوننا .. أيام طويلة تحمل كل لحظة من لحظاتها فاجعة بفكرة ..
برمز .. حطام اسطوانات محببة .. مرآة ممزقة الطلاء .. قلم جاف ..
دواة سكبوا حبرها لصيغ حذاء ... تمثال زنجي تأكل الديدان ابتسامته ..
سموها .. أرانبي البيض سموها .. البرد الذي غاصت أظافره في دفة
جلدها الأبيض ملأني برعدة ممزقة .. وكان العرق مع ذلك يبللني ..
كثير من العرق الذي ضاع مع دموعي ... لست واثقة ان كنت قد
بكيت أم لا .. كنت أبكي بمسامي .. كل حبة عرق كانت دمعة
محمومة عمية أضاعت طريقها الى عيني ..

أبدأ لن أنسى ضحكات العابرين تلك الليلة تحت شرقي .. أبدأ لن
أنسى ان أحداً لم يشعر بعذاب امرأة اطبقت بأسنانها على خشب النافذة
كي لا تنادي أحداً .. لأنها تعرف ان أحداً لن يستجيب .. لو تمسح
كف ذل مرضها وهزال وحشتها .. لو يطل من رسوم السقف وجه
انسان .

أرانبي البيض ماتت تلك الليلة .. واكتشفت أشياء كثيرة صممت على

ان لا انساها اذا حدثت المعجزة ونجوت .. اكتشفت انني ذرة مظلمة
ستظل أبداً بلا مدار .. بلا عناق مع شعاع .. الشمس كانت مظفأة
حينما نظرت جيداً .. والكواكب تنتحب في هوات السماء السحيقة وأراني
البيض مات دون أن تؤنس ذعري ابتسامة .. ماتت ..
لم يبق إلا أن انتظر الساعة الخامسة والعشرين .. لأموت ..
وماذا بعد ؟

لا شيء .. لم أمت . شفيت .
التهمت بحروف كتي . ليس في الوجود من يستحق ان أهبه فرحة
الشماتة بهزيمتي .. درست بجميع حواسي .. بعذابي .. بفجيعتي مراهمتي..
بأظافري .. اكتشفت ان اخطاء الأقوياء تسمى بالنواذر والطرف .
إن التجارب الممزقة تزيد في قوة الانسان إذا لم تقتله !
انها على الأقل تكشف له ان كان قادراً على ان يحيا أم لا .. انها
دن النيذ الاسبارطي الذي كانوا يغمسون فيه كل طفل يولد لهم ..
فإذا عاش بعد هذه التجربة المرهقة فهو قوي البنية ويستحق حق الحياة..
وإلا فإنه يموت .. وحياتنا وأحزاننا ومآتم أرانبنا البيض ليست إلا دنان
القدر التي نهوي في لزوجة كوارثها . ونخبط .. ونحترق .. ونتمزق ..
وإذا نجونا .. فقد نجونا من ضعفنا وجوعنا الى عطف الآخرين .

١٩٦١

وجدت حقيقة في أن تذوب «الأنا» في «نحن» !

يا رفاق .. بحثاً عن حقيقة نحترمها ، نشرد في الدروب كل على طريقته .. قد نبحت بحاسة جمرة شاردة ، أو ببرود سلحفاة .. قد يكون بحثنا عملية واعية مرهقة ، وقد يكون رغبة لاشعورية تطفو فوق تصرفاتنا ، ويكون تعبيرنا عنها خاطئاً أو غير خاطيء ...

كلنا يبحث عن حقيقة يسكن اليها ويرى وجوده من خلالها ... حبيبة ودية .. صديق .. موقد فيه نار .. فكرة .. مثل أعلى .. كلمة صادقة حتى لو كانت شتيمة .. أية حقيقة . وكلنا قد عرف مرارة الحية مرات ومرات حينما تتعري الأشياء فجأة فتبدو بلا أقنعة وبلا أصباغ ، تسخر من طقوسنا ونحورنا ومراهقتنا ...

سأروي لك نكتة ، قد تقول انها قديمة ، وأنا أعرف ذلك ، ولا أرغب مطلقاً في إضحائك .. لكني سأرويها .

اشترى رجل أربع تفاحات ، ولما عاد بها الى داره جلس ليأكلها . أمسك بسكين ، ولم يكده يقطع الأولى حتى وجد فيها دودة ، فرمى بها وأمسك بالثانية وقطعها ، فوجد فيها دودة ، فرمى بها وقطع الثالثة فلم تكن خيراً من سابقتها .. ولما رأى انه لم يبق لديه سوى تفاحة واحدة ،

نهض وأطفأ النور ثم التهمها في الظلام كي لا يرى شيئاً
إنها ليست نكتة ! إنها مأساة ! هل ترضى بأن تأكل تفاحتك في
الظلمة خوفاً من أن ترى ما يمكن أن يكون فيها ، وتتألم لفقدائها ؟
هل أنت مع الشاعر العربي الذي قال :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى

ظمئت ، وأي الناس تصفو مشاربهم ..

اننا جميعاً لا نملك إلا أن نمارس هذا الأسلوب في حياتنا اليومية ..
قد نتجاهل كذبة صديق عزيز ونتركه ينتشي موهوماً بأنه استطاع خداعنا..
وقد نسامر انساناً له في قلبنا موضع فنقول له « أنت على حق » كي
نتحاشى مناقشة عقيمة .. من منا لم يطفئ النور مرات قبل أن يلتهم
تفاحاته الأربع ؟ من منا لم يجلس الى نافذته في عتمة الليل ليغازل ظل
الجاراة في الشرفة المقابلة ، ويكتب لها الأشعار ، ثم يغلق نافذته قبل أن
ينام خوفاً من أن يكتشف في الصباح انه لم يكن يغازل سوى ثوبها الذي
علقته في الشرفة ليلاً لتزيل منه رائحة (البترين) الذي مسحت به بقعة
في الكم مثلاً ؟ لماذا أغلقنا النافذة مراراً ؟ كابرنّا .. رفضنا بعناد
طفل أن نفتح أعيننا على عري الأشياء .. هربنا منها ...

لكننا مع هذا كله نعيش خطأ عاماً مهما تلوينا وانحنينا وهجرنا الدرب
ثم عدنا .. هذا الخط العام هو البحث عن حقيقة نهبها لهيب عمرنا كله..
نحيا من أجلها ..

وأنا قد وجدت الليلة حقيقة .. في بسمه طفل .. في زغرودة عامل ..
في ثورة مشعل ، في التوهج العرييد لألعاب نارية على خد غيمة .. وجدت
حقيقة : أهزوجة شعب . موجة فرح تسطو على أحزاني ، تريحني من
كآبة فردية تذكرني بأن في هذا الوجود ، في مدينة ما ، في واد ما ،
وراء ألف بحر يعج بأخطبوطات وحياتان وأفاع ، ووراء ألف غيمة مظلمة ،
وقم يلتقي فيها السحرة بعنزاتهم السود ومكانسهم الطائرة ، ووراء مدن

ترقص أنوارها بخلاعة لامبالية ، ان وراء هذا كله هلالاً شاباً ما زلت
انتظر ان يبرز في سمائي من جديد .. أمد نحوه يدي وبودي لو أزيح
بضعفها مدناً وجبالاً وبحاراً وأكداس ظلمات مطبقة .. سأحكي لك كيف
التقت بهذه الحقيقة . كانت الساعة تشير الى العاشرة ليلاً حيناً تأهبت
لمغادرة عملي ، وبعمادتي جمعت أوراقى وأشياي المبعثرة وخرجت الى
المصعد .. أخذ يهوي والجدران تركض مذعورة نحو الأعلى .. وتصيني
رعدة لذيدة .. ماذا لو يظل يهوي بلا توقف ، الى الأبد ؟ ماذا لو
يظل يعبر بهذا الصديق المضيء عن حقيقة أعماقي المظلمة ؟ منذ عام وأنا
أكتب .. بطرف قلبي الدقيق أحاول أن أحفر درب خلاصي في متاهات
عمرى الصخرية .. بطرف قلبي الدقيق أحاول أن انسج حقيقة : أجد
حقيقة ، أسجد لحقيقة .. منذ عام كانت التفاحات الأربع كلها نصرة
ومتوردة ، لم أجرؤ على ان أقطعها بسكيني ، كنت خائفة منها ، ولم
أرض مع ذلك بإطفاء النور كي التهمها في الظلام ... منذ عام وعوالم
صمت محمومة تهذي في أعماقي ، تتغذى من وحشي وعزلي . توقف
المصعد فجأة وفتحت بابه انسافة تبسم . جميلة هي الأشياء الباسمة .
خرجت الى الشارع، وسرت لا أشعر بما حولي كعادتي .. لكنني استيقظت
فجأة على بسمه طفل، وصبيحة فرح متوحدة ترددها ملايين الشفاه الراحشة،
ولحية بيضاء لعجوز ما رقصت منذ أمد بعيد .. وبدأت قوقعي تذوب
وتتلاشى ، وأحسست انني موجة حماس في الخضم المتلاطم ، تملكني نشوة
الثورة ، نشوة الشعب المحتفل بذكرى ...

ووجدت حقيقة أحترمها وأزهو باحترامي لها .. وجدتها في ثرة
مشعل ، في التوهج العريذ لألعاب نارية على خد غيمة .. في اهزوجة
حية لأمة .. وجدت حقيقة في ان تذوب (الانا) في (نحن) ، في إن
تغيب جذوري مع اصالة جذورها وعراقتها ..

تبدأ الحياة حينما يبدأ الصراع

يا صديقي ،

اكليل الخوف جدلناه من أشواك الرياء والتخاذل والضعف وحملناه ..
جواز دخول الى سوق الغرور رفعناه .. مسحناه .. بالكحل بالعطر ،
برشة رياء زيناه .. في متاحف الوجوه الشمعية عرضناه ، عند أحذية مصقولة
عفرناه .. ليضحكوا .. ليقولوا انا مهذبون .. ليقولوا انا عاقلون ..
ليمنحونا بركة حفلات - الكوكتيل - بركة التبغ والكافيار ..
اكليل الخوف جدلناه من ضعفي وضعفك .. من خلايا - الأنا -
لسعها التخاذل المبتهل فاستحالت ضفائر سرطانات خوف .. الاكليل يتضخم ،
من خلايا السرطان يرتق ، بينما - الأنا - تذوب .
واتخذت الفواجع المصيرية في نفوسنا مظهراً اجتماعياً بليداً ..
ننظر الى الموت خلال اكليل السرطان المعطر ، فراه صندوقاً مقفلاً ،
نحصى النادبين وراءه ونبارك الميت تبعاً لعدد هم وألقابهم .. ونرى العرس
موائد .. والحب صفقة .. والاحترام ضريبة .
طويلاً جدلنا اكليل نخاذلنا خوفاً من ألف عين مقلها كحل ، وألف
شفة تنشر الشائعات في ألف زقاق ملون .. خوفاً من الوحش الخرافي
الذي يرى ولا يبصر ، تسحره طية ثوب حسنة الكي ويثير وحشية أظافره
صدق امرأة تجرؤ على ان تقول هذي انا .. تعبت .. اريد .. أرفض ..

يا نحن .. أين أضعنا وجودنا ؟
آلهة التمر رفعناها .. في موكب القطيع سجدنا لبلايتها .. من المقهى
الى الحفل الى الشارع زحفنا وراءها .. رعوثة الريح تحكمنا وسداجة
العاصفة تتلاعب بنا .. الاعرابي أكل آلهة التمر ، لو أكلنا آلهتنا الملونة
لخفقتنا أصابع الغثيان .
حتى تطل نجمة في أفقنا .. هدف نحترمه .. نتمنى أن نمنحه وجودنا ..
ونكتشف فجأة اننا لم نعد نملك ما نمنح .. أكاليل الخسوف عشت في
خلايانا .. غرست جذورها تلبس في أعماقنا ..
وتبدأ الحياة حينما يبدأ الصراع .. حينما نمتلك القدرة والجرأة على أن
نرى أين نحن فعلاً .. حينما تثور الأسئلة وتتدافع .. حينما نريد أو لا
نريد .. نختار ونرفض . وننتزع الاكليل ، فتحرر فجأة من الخوف
الذي لم نكن لندركه ، ونرتقي في عذاب البحث عن وجودنا كي تمنح
النجمة إياه .

١٩٦١

عدت اليك يا هدايي المتكسرة

إليك يا أول حب وأغلى حب .. إليك يا أوفى وأصدق من أحببت،
إليك أيها الغائب أرفع متعب همساتي .. إليك ألون لطفة الحرف ، ولك
وحدك أنثر صممي الضاح انشودة لاهثة الترف ...
كم رويت لهدوئك أحلام تفاهتي البلهاء ، وكانت عيناك تبسمان ..
وكم أرهقت حكمتك بتسرعي وجهلي ، وكانت عيناك تبسمان .. وكم
دمرت عهودنا بعنادي ، وظلت عيناك تبسمان ! واندفعت في الدروب
كتلة تضج بحماس المراهقة ولهب الاخلاص العفوي ، دقت باب المعرفة
بأظفري ، بناري ، بنهمي المجنون لمعرفة حقيقة الأشياء . حقيقة الحبيب
الذي يركع لي والناس الذين يحيطون بي .. حقيقة الصداقة والوفاء
والعبارات الناعمة التي يمسح بها الشبان وجهي :
واندفعت والتهيت .. تعثرت وانتصبت .. تأوهت وكنت .. جريت
وتعبت وارتميت .. وظلت عيناك تبسمان ! ورجعت .. رجعت قطعة مبتلة
أكلت منها عواصف الشتاء، عدت ولا شيء في العينين القلقتين سوى رماد
تتحبب جمراته برعب مشمتر .. عدت بأصدائي الفارغة . وأهدابي
المتكسرة.. وأغضت عيني كي لا أرى وجهك .. كنت أعرف ان عينيك
تبسمان وكانت بسمتك الحانية أقسى من أي عتاب وأصدق من أقدم
غفران .

عباراتك المطمئنة المشجعة ابتلعها صمت الضباب .. ضجيج البحار التي
تصطخب بيننا والسهول والقمم التي تفرقتا تلتهم الصدى مترنحة سكري
وأظل هنا وحدي .. تولد همساتك في فراغي وتعربد في صمت غرفتي ..
وأظل أحلم بدفء أعماقك .. وبالعينين أبداً تبسمان لي . كل شيء زائف
أيها الغالي ان لم تشاركني به . التصفيق أجوف الرنين .
العتاف متعب كالأنين .. وكل ليل فيه من آهتي ألف رعدة حنين ..
من أعماق ظلمة وحشي أهنف باسمك .. من مغاور خيبي الداميسة
أنادي العينين اللتين تبسمان والصدر الخاني ، استرجع ذكرى ليالٍ طوال
حلتني فيها بين ذراعيك .. أنت يا أبي المسافر .. يا أغلى أب وأوفى
صديق .. إليك أرفع شوقي الدبيح لحناً ملهوفاً يردد ويعيد : ستظل عيناك
تبسمان يا أبي .. ستظل عيناك تبسمان ! لا تخف علي بعد الآن .

١٩٦٠

حتى تظل نجمة

انني أتساءل أحياناً : لماذا يلذ لي أن أضفي عليك يا حبيبي كثيراً من صفات الكمال ؟ لماذا أحرمك من انسانيته وأكرهك على الارتقاء إلى مصاف الآلهة، أو على الأقل إلى مصاف أبطال روايات العصور الوسطى ؟ لماذا أرفض أن أرى فيك ما أكره ؟ لماذا أتعامى ؟

هل هي بقية من لعنة الكمال ؟ من تحرقنا المبهمة ورغبتنا اللاواعية في أن نكون شيئاً مثالياً ؟ تلك الرغبة التي تصطدم بالواقع في أيام مراقبتنا الأولى عندما نكتشف انه محكوم علينا بأن لا نكون إلا بشرًا، لا نستطيع الارتقاء إلى مصاف الآلهة لنهرب من الموت ، ولا نستطيع الهبوط إلى بهيمة الحيوانات لتتحرر من الألم .. نجرجر قيودهما في درب مظلمة البداية والنهاية ..

فهل في توهمنا - مع سابق تصميم وتصور - بأن الانسان الذي نحب كامل نوع من التعويض ؟ أم اننا بحاجة الى أن نحب الأشياء أكثر مما نحن بحاجة الى أن نحبها ؟

نريد أن نجد شيئاً نغمره بسيل العواطف الغامضة التي تتدفق من أعماقنا بركانية عمياء.. وحاجتنا الى إيجاد من يستحق هذه العواطف مع تقديرنا الأناني لقيمتها يجعلنا نأبى أن نمنحها إلا لشبه إله .. ونحاول خلق شبه الإله

هذا .. نقيده بشكل معين من التصرفات التي تؤمن بها لأنانيتنا ارتقاءه الى مصاف الآلهة .. وهكذا تمارس ذروة الأنانية في أقصى لحظات تفانينا من أجله لأننا نتقل من حبه هو نفسه الى عبادة الصورة المدهشة التي رسمناها له في أذهاننا ..

ترى لو منح كل منا فرصة يرى فيها « التابو » الذي صنعه بنفسه على حقيقته ، على حقيقته فعلاً ، هل يرضى الكثيرون بهذه التجربة الممزقة التي قد تطيح بشيء نحن بحاجة اليه كي نحبه ؟ أليس الحب جميلاً بما فيه من تجاهل وأوهام ؟ أليس في الحب من أنفسنا أكثر مما فيه من حقيقة الآخرين ؟

أنا قد منحت الفرصة لأعرف حقيقة التابو الذي قدست لأضعه في إطاره الانساني المادي الواقعي ، وأنا قد رفضتها ! لم أجرؤ .. بكل بساطة لم أجرؤ ! أحرقت المصنف دون أن أفتحه ... أمي ! لم أعرفها لكنني واثقة من انه كانت لي أم . سمعت الناس يقولون ان المدينة كلها بكّت يوم ماتت، وان أمواج البحر منذ ذلك اليوم تتسلل في الليالي المظلمة لتتمسح برخام قبرها .. أبي لم يحدثني عنها طيلة هذه الأعوام إلا نادراً.. حدثني عنها يوم ثار بسبب تصرفاتي وقال اني عنيّدة ومتمردة .. ولم أنكر. ولكنه هدأ بعد لحظات وبدأ يحدثني بخنان ندي عن عناد أمي وتمرداها.. ومنذ أعوام مغرقة في البعد ، أذكر انني كنت أسافر ليلاً معه .. السماء كانت مظلمة وجوفاء .. نجمة واحدة ظلت تضيء ، حلوة وحشية البريق .. سألته بعبث طفلة : ما اسم هذه النجمة ؟ قال بخشوع كاهن: هذه هي أمك ! وليلتها مزقت النجمة مدارها لتولد من جديد في ظلمة أعماقي ولأطلق عليها اسم أمي .

ومرت الأعوام وأمي نجمتي التي لم تهو . وأمي عروس الليل الهاربة من شرقة شرقية . وأحييتها . لماذا ؟ لا يهمني أن أعرف . جعلت منها كل رائع في الوجود كي أحبها . وأحييتها لأنها كذلك .. كان علي أن

أحب انساناً ما دون أن أخشى من عدم قدرته على الارتقاء الى مصاف الآلهة .. أنا انيتي كانت بحاجة الى الحبيب الذي تحرمه من حق الخطأ والالم والموت .. ولم أجد سواها ..

ومنذ أيام جاء أبي ووضع بين يدي مطروفاً مغلقاً وقال « خذي هذا المظروف .. لقد أخفيت لك فيه صور أمك ومذكراتها !! أظن انك اليوم جديرة به ! ستعرفين عنها شيئاً ما .. »

وخرج .. وبقيت وحدي أحلق بذعر الى المغلف العتيق .. وأتساءل .. أعرف عنها شيئاً ما ؟ وأنا التي رسمت ملامح وجهها الأسمر في طيات الستائر ليلة بعد ليلة .. أعرف عنها شيئاً ما ؟ وأنا التي طالما خلقت صدرها من عتمة غرفتي ، ودفنت فيه وجهي وانتحيت أيام وحشتي ... وأنا التي طالما حدثتها في أوهامي عن وحدتي .. وأنا التي مجدتها وألتهتها كي أعبدتها .. وأنا التي نحت منها ما أهرب اليه حينما تفور ديدان الزيف وتطمس الأشياء ..

ماذا أفعل ؟ هل أفتح المظروف لأرى أن لأمي صورة ، وللناس كلهم صوراً ؟ وأرى في مذكراتها انها تجوع وتغضب وتخطيء وتحقد كأي عابر يصفى في الشارع ؟

ماذا ؟ أقرأ مذكراتها لانتزعها من حيث تلتصق في السماء ، نجمة وحشية الأضواء ، ولأضعها في إطارها الاجتماعي العادي ؟ لا .. لا أريد أن أصدق ..

وبحرص وثني على مقدساته ، أحرقت المغلف ولم أفتحه !! وظلت أمني تلتصق في ركن السماء نجمة وحشية الأضواء ..

يا صائد المرجان

أها الغريب الجريء .. رسالتك أجمل من أن تكون حقيقة وأصدق
من أن تكون خيالاً ، فيها وعد بربيع جديد يورق براري عمري ..
وعد بحب .. وعد ربيعي يرقص بين السطور .. تتسلق وروده المجدولة
خضرة السطور وتنزلق بين الكلمات .. تدور حول الجمل ، يترسب عبرها
في النقاط المبعثرة ، يترنح مع تهديج التعبير ، يتناثر في فضاء رسالتك
البوهيمية المسكرة .. برودي يغلي .. بسملة منسية تتسلل بفجور لتعربد
فوق شفتي وتنثر شعرها إشاعات أمل في ملامح وجهي .. فأنتشي ..
أنتشي .. وتنتشي الرسالة العجيبة .. سطورها العذبة ترقص مجنونة وتكاد
تقفز من الورق الأبله لتطوق جيدي وعنقي ، تدور حول خصري تلثم
أهدابي .. تختلط بأنفاسي وتنسل الى داخلي لتغرق في الأعماق . وأكاد
أسمع صدى ضحككتك مبهمة الاثارة ، وأود أن ألثم كلماتك .. أمتص
وعودها .. أشمها ، أضمها بقسوة ، أمضغها بنهم ، أبعث سطورها في
أضلعي ، أمزق حروفها ذرات أنثرها في دمي ، أحرقها مع لوعتي بنحوراً
صنوبري الأريج ..

وأجلس لأتأمل انصهار الخيال والحقيقة .. تعانق سحر الشرق
وبساطة الغرب .. غموض الحلم وصلابة الواقع .. وأشق دروب

أوهامي اليك ، أكسداس الظلام تنحسر عن طريقي .. أحجار
الشارع تود لو تلثم قدمي الصغيرة التي تطير وتكاد لا تمس من الأرض
شيئاً .. واصل إليك . ييسم بابك . ترقص المدادة السكرى على جدرانك
العقيقية .. تتمسح بنحش نافذتك وتنهك الى وجودي .. لهفة عينيك
تحرق الظلام وتتحسس خلدي المتهين بشوق متعب ، العندليب يدفع
حبيبته تحت جناحه في هناء مترف .. وأجلس لأكتب اليك ، لأحدثك
عن هذا كله .. ولكن ..

« قلبي ينزف مطر القدر الأزرق وأنا أكتب اليك :

أيها الغريب الجريء ، لو كنت تدري أحلامي ساعة مددت يدك
وصافحتني مودعاً لما تخلّيت عنها أبداً .. لو كنت تدري حنان ناري ،
لو كنت تسمع هدير أغواري ، لو كنت تحس تفجري ودماري لما
مضيت أبداً » .

فجأة ، أتوقف عن الكتابة اليك ، تهب نسمة مسمومة من الماضي ،
فحيحها يزحف وثيداً في أذني ، قامي الليونة ، جارح الزوجة ...
يستيقظ ماضي الحية ويمد اخطبوطه أذرعاً من ندم .. من عدم .. أذرعاً
من نزف أعوامي ، من زعر غلدي ، من عجزني عن الثقة برجل !

وأدرك انني أضعف من أن أحب وأجبن من أن أثق .. وانني راضية
بضعفي ، بوحدتي ووحشتي .. أهذي موهنة .. أرقص ممزقة مشتة ، لكنني
راضية بلوعتي ولهفتي .. راضية بأنامل الصمت تدغدغ جرحي .. عطر
السكينة يخدر نزقي بينما أهذاب الليل الحانية تخفي كل شيء .. وأمزق
رسالي اليك بعد أن ولدت ميتة !

ابعد في الظلام نزق الحلم ونشوة اللقاء .. أدمر دارك المخملية
أرجوحة الشمس .. انثر جدرانك المرجانية مسكبة القمر .. أقطع مدادتك
الواشية وأخنق لهفتي الطفلة .. أبكي الأمنية التي ماتت في صقيع أيامي ..
ماتت قبل أن تولد !

لن أجيب على رسالتك فأنا لا أجرؤ على التصديق .. ويوم أراك ،
سأقف أمامك ضاحكة مخادعة .. كأنني ما اجتريت حروفك بنهم عطش ،
كأنني ما تمنيت أن أسكب نفسي في قبضتك ساعة صافحتني مودعاً .. ويوم
اللقاء لن أقول شيئاً .. لكن ذرات صمّي المتعبة ستظل تهذي في عينيك :
« هل جئت تصيد اللؤلؤ في أعماق الدامية ؟ أجب يا غيمة العطر ، هل
جئت تنهب بيادر صمّي وتوقظ أهداً سكيني الغافية ؟ رفقا بالجرح النائم
أيها الغريب ، رفقا بقوارير الطيب الملوثة ، بذعر الأطلال الرمادية وأنات
الشوق اللاهب .. رفقا بقداسة وحدتي وخيبيتي يا صائد المرجان .

١٩٦٠

خلود اللحظة باستنفاذها

للحزن مفعول الحمرة في نفسي ، حيث تعربد الأفكار في رأسي كشعر
الجنيات المتطاير ، وأشعر بحاجة الى عينيك العمقتين اللتين لا أدري ماذا
وجدت فيها ولكنها أيقظتنا الجراح في نفسي . كنا نثرثر والرفاق، وصدى
التفاهة يتناثر مع ضحكاتنا البلهاء المدوية ، حين التقت نظراتنا فجأة .
بصورة غير عادية .. ورأيت حقيقتي في عينيك ! ويا لها من لحظة مؤلمة
ممزقة حين يومض فجر المعرفة في القلب البشري الضال !
وهوت أفكارني شهياً محرقة تصرخ بي « ليتك كان لك دائماً » ،
وسألتني : « ماذا بك ؟ » .

وتسلل صوت آلي من جوفي وأجاب « لا شيء ! » .. أجل !
لا شيء يا صديقي ، كل ما في الأمر انني أحسست فجأة ان كل
ما حولي يغوص ، والجلبة تضيق ، وأعماقي تدمى حينما تمنيت لو انك
كنت لي أبداً .. ان فكرة الاستمرار المثالية الخيالية تعاودني حيناً بعد
حين .. انها بقية من بقانا حين المراهقة الأبله لوضع خطط للمستقبل ..
وكأنني أملك منك - أو من نفسي - شيئاً .. وأشعر بطفولتي الزمنية
تتاوه كلما تمنيت لو انك كنت لي دائماً ..
يا صديقي .. كل ما اجرؤ على أن أحلم به ، هو مجرد لحظات عابرة

مع عينيك ، فنحن مخلوقات مشوهة .. بلا غد .. بلا إرادة .. بلا حرية ..
ألعبوبة للآلهة الثملة .. كل ما نزرعه ونحن نحلم تحصد رباح القدر حينها
تلهو . ولكننا نكتشف هذا كله بعد فوات الأوان ، فقد علمونا منذ
الطفولة ان الزواج يجب ان يتوج الحب . لماذا ؟ لأن الزواج بنظرهم
يعني الاستمرار والضمان .. واننا إذا أردنا لحينا الخلود فعلينا بالزواج !
أما أنا يا صديقي ، فلن يدور الاستمرار بخلدني بعد الآن ، لن
أشوه لحظائنا الحلوة بالتفكير العقيم في المستقبل الذي أعرف جيداً انني
أنته من ان احرك يدي الواهية صخرة من صخوره .. الاستمرار مفقود
في عالمنا البشري ، انه وهم المراهقة ! في لقاء تقسم على الوفاء وعلى
ألا نفرقنا قوة في الأرض والسماء .. ويضحك منا بسخرية شيء مبهم في
أعماقنا ، فنحن لا نملك شيئاً في عالمنا هذا ، حتى ولا أنفسنا، ولا حريتنا
في أن نموت متى شئنا — أو على الأقل إذا شئنا — ، لنا ذاتنا في حدود
اللحظة التي نعيشها فكيف نهب لسوانا — حين تقسم على الوفاء — شيئاً
لا نملكه ؟

إلهية هي تلك الساعة التي تؤمن فيها معي بأنه قد لا يكون لنا غد ..
فتعطي وتجزل في العطاء ، وتمنحني من نفسك وروحك وكيانك .. وتعطي
أكثر مما تستطيع ! أنا احبك بضعفي وحيرتي وعجزتي وضياعي .. أودّ
ان أهبك في اللحظة التي — نكون — فيها كل طاقتي للحب .. أما إذا
جاء الغد — وقد لا يجيء — وجددتني أمنحك من جديد كل ما لدي ..
فالإنسان لا ينفد ، وأنا لا أعرف العطاء في الحب بالتقسيط ، ولا
أريد ثمن حبي عقد زواج !

الحب العابر هو الشيء الوحيد الذي يملكه الإنسان ، وبالتالي يستطيع
ان يمنحه .. وكل ما يقوله من بعد سراب . الفضيلة هي الاعتراف
بالحقيقة التي صنعها القدر وفرضها علينا ، ومهما كانت هذه الحقيقة شوهاء ،
فلنأخذ بنظري خير من الأوهام المثالية والخدع التي نتبعج بها ونحن نعرف

اننا كاذبون ، ونحن نعرف ان انسانيتنا الضعيفة عاجزة عن منح اللحظة
صفة الاستمرار وبالتالي الخلود !

انا قادرة على أن أرسم الخلود في دربنا القصير ، فيضج جبين الفراغ
الميت ويتأوه السكون ويتلوى .. وتصرخ يا صديقي بمسء فلك : أنا
موجود ، أنا أحيا .. أحس الأرض صلبة تحت قدمي .. وأرى ان في
السماء نجوماً حية ترتعش وتغمز لي .. وهذا الاحساس ليس بقليل ..
فأنا ما شعرت قط ان الأرض صلبة تحت قدمي .. لكنني معلقة في فضاء
متوتر مشدود .. أخشى السقوط كل لحظة ، او انني في سقوط مستمر
دون أن أدري ، لأنني لا اصطدم بشيء .. لا شيء حولنا يا صديقي !
نحن ذرتان ضائعتان في الفضاء كملايين الشهب المتناثرة المحترقة .. كرماد
سيعارة شيطانية يتلذذ بتدخينها قدرنا المريع !

وفي لحظتنا الخالدة المشحونة بالعمق والصدق ، والاحساس المشترك
بالعبث والضياح ، في مثل هذه اللحظات الخالدة ، حينما تتشابك أيدينا
وقلوبنا ، نحس ان الأرض الطيبة تحنو على أقدامنا المتشققة التي طالما انهكها
التخبط في الفراغ الوحاز وأدمتها خيوط العادات والتقاليد التي نعلق بها
بلا نهاية ..

ويوقظني صوتك من خواطري وأنت تسأل :

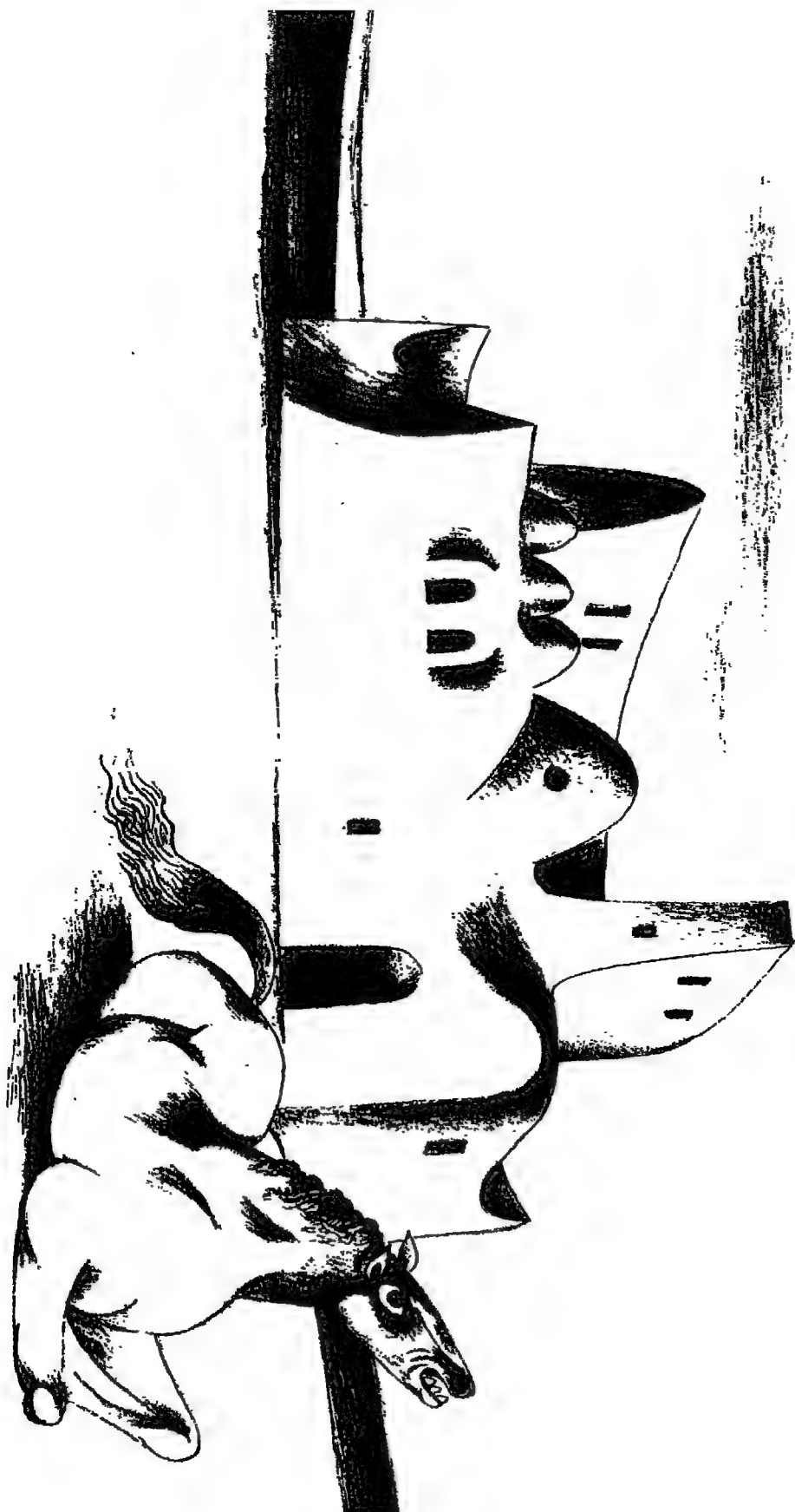
— ماذا بك ؟

يجيبك الصوت التقليدي :

— لا شيء يا صديقي !

وأحرق من جديد في عينيك وكأنني أتسلق نظراتك ، وأتسرب من
خلالهما الى داخلك .. ويخيل إلي ان بسمتك تضيء ! وأحس أنك قريب
قريب .. وان الأرض صلبة تحت قدمي بعد طول تشرد وضياح .

١٩٦٠



حب طفولي

بوحشة سنونو أضاع ربيعك أكتب عنك يا سيدي ، ولا أملك سوى
جمرة القلم ألهبها بشوقي وأذيتها على الورق بخنيتي . حرقته مشبوبة هي
أيامي من دونك . أكره أن أرى الليل يظلم وسهول القمر تغمز من بعيد..
وأنت بعيد ، بعيد .

وأكره أن أرى أنني طفلة . أفيض شباباً وحيوية . دون أن تضمني
يداك القويتان .. وتهصرا الشوق والحنين .. أكره بعدك، انه يجعلني شديدة
الحساسية بمرور الزمن .. يملأني بشعور ووعي مبالغ به بالساعات والدقائق .
ما زال صدى صوتك الحار في أذني . ما زالت قسوة يديك في دمي .
لا ، لا تقل أنك لن تعود ، فأنا أنتظرك . لا تقل أنك صممت على
البقاء هناك .. فالليل يتأوه ويتلوى في صدري. وسهول القمر تزفر أنفاسها
وفي كل نسمة نداء حار لنا .. حار كنتظراتك الغامضة، كرجولتك المدمرة.
أحن الى أن أحس أنك قريب ، تتحرك حولي .. أسمع الناس يتحدثون
عنك وعن مغامراتك .. أسمع حسادك ينتقدونك .. أرى الفتيات يتهافتن
عليك ، وأنا أرقبك بلذة وفرح لأنك موجود ، لأنني عرفتك وأنست
بك ، وأحسست بالطمأنينة في وجودك .

ويوم تعود يا سيدي ، يوم تعود لن أقفز لأقف على قدميك، وأشد
عنقي الى آخره كي أقبل جيئتك .. لن أنهد على صدرك لأريح رأسي

المتعب وأبكى للمرة الأولى منذ أهوام. سأقف أمامك طفلة خرساء، وأمد لك يداً مينة لأصافحك .. لأمس يدك دون أن أرتعش .. سأحديق فيك بوجه أبله وعينين باردتين.. كأنني ما لثمت رأسك ألف ألف مرة في أوهامي .. وقد أجد صوتاً يقول لك - « الحمد لله على السلامة » - .. ثم أجلس .. وأتشاغل عنك كأنني ما تمنيت أن أهبك عمري كله لتعود سالماً .. كأنني ما تساءلت كل لحظة ترى أي سماء تظلك ؟ وأي عيون ترقب سيجارتك وهي تحترق بين شفتيك ، فتثير في النفس حنيناً الى الحريق بين الشفتين .. من يطفىء لك لغافتك - قبل أن تنتهي - بللة طفولية غريبة .. من يتلذذ بجو الرجولة الساحق المبهم الذي يخلقه وجودك في كل مكان ؟ ولعلك ستقول بعد أن تلقاني كما قلت دائماً .. « يا لها من طفلة .. لا تهتم بغيايبي ولا تحس بوجودي .. سأنتظر حتى تكبر » .. فالصدق في نظرك طفولة .. والعفوية سداجة .. والكتمان نقص في الاحساس .. والهدوء موت الشعور .

صديقي ، وأي حق لي في أن أناذك صديقي ؟ لا أدري، لعله شبح حنان ومض يوماً في عينيك .. لعله ظل لفحة صادقة صبغت حديثك ذات مرة .. لعلها بسمه ود وانس رقصت على شفتيك .. لعله ضياعي وحنيني اليك .

صديقي .. لماذا ذهبت وخلفتني هنا تائهة أحلم بحنانك وإرشادك ؟ ضائعة في عاصفة مجنونة .. أحس بأنك مسؤول عني أنت الذي رميت بي في هذه الدوامة . أنت الذي جعلتني أبحث عن النسيان في أي قلب . طفلة بريئة أنا أمامك .. ككل امرأة تشعر بأحاساس صادق.. وامرأة محزنة أنا أمامهم .. أمام عشرات العيون الشرهة التي تتمسح بي بشهوة. عشرات الشبان الذين يربضون أمام قلبي بأفواه مفتوحة ترقب لحمي الأسمر لتنهشه .

أحييتك ؟ لا يا سيدي .. لست مرافقة لأقول اني أحبك .. للحب

مفهومه الخاص عندي .. انه اكمال وتمام لا يتحقق إلا بوجود اثنين ..
قلبين .. جسدين .. رضا وتقبل روحين .. أما اللهفة والرغبة واللوعة من
جانب واحد فأنا لا أدعوها حباً لأنني لا أؤمن بالاكتماء الذاتي في الغرام..
أتراه شروع في حبك ؟ أم حب عن سابق تصور وتصميم ؟ أم انه مجرد
أمل في لقاء عابر مع رجل رائع الذكاء والتكوين ، رائع الرجولة ؟ لا
لا أظن ، وإلا لما فشلت في ملء فراغك بسواك ، والفراغ الذي خلفته
لم يملأه شاب بعد ، ولا مغامرة ، ولا أحلم بأن يعوضني عن غيابك
كائن كان .. انك لم تعد بالنسبة لي مجرد رجل أو مغامرة ، أو حلم
ليلة صيف ، لا أدري لماذا أضحيت كل ما أحبيت ذات يوم وفقدت .. وكل ما
كنت أتمني أن أملك وفشلت .. أضحيت جزءاً من حرقه الماضي ولوعة
الحاضر .. وأمل المستقبل .. أضحيت جزءاً من كياني .. من أفراحي
النفسية الداخلية ، ودواماتي الذاتية ، أضحيت الحنان بنظري ، الصديق ..
المرفا .. الأمان .

انك لم تعاملني كصديق .. بل أكثر من صديق .. ولم تعاملني كرجل بل
كأسمى من رجل .. ومع ذلك لم تعاملني كرجل أو كصديق وهنا بعض
لوعي .. يا لغرابتي وحيرتي ماذا أريد ؟ ماذا أريد منك أيها الغائب
البعيد ؟ لا أدري يا سيدي لا أدري .

سبعة أيام ، كانت فجر مأساتي الجديدة ، لم أدر وأنا أعيشها معك
كم كنت سعيدة .. سبعة أيام تلعب بقدرتي ، سبع بسمات منك بعثت حطامي
وألهبت رمادي .. سبعة أيام يا سيدي ، فداك نفسي عن كل لحظة ..
عن كل ضحكة صادقة نبعت من أعماق فؤادي لنكاتك ، عن كل لفظة
حانية أدفأتني بها عيناك .. سبعة أيام يا سيدي شيدت قصوراً وهدمت
قصوراً .. سبعة أيام ! لطف روحي .. ليتها كانت دهوراً ..

ويوم مضيت بدون وداع ، عدت كما كنت ، شهاباً منطفئاً يهوي
في ظلمات عمر ضائع .. ويوم مضيت سلبتي سلامي وهدوئي ، وأيقظت

فعاليتي وضجيجي . فأحسست انني كتلة من حيوية وصخب وانفعال ،
وان علي أن أفعل شيئاً، أن أنسى .. أن أدفن عذابتي في قلوب الآخرين ..
وفتحت الجراح في قلوب كثيرة ، ولكنني فشلت في مداواة جراحي ..
خطر لي أن أتبعك الى حيث ذهبت .. الى أي مكان الى الجحيم .. ولكن
ماذا تقول اذا رأيتني أفتح باب غرفتك في الفندق كقطعة متعبة
دامعة العينين ؟ وماذا أقول ؟ أقول انني لا أحبك .. ولكنني تبعتك
لأنني أطمئن اليك وآنس بصحبتك ؟ هل يمكنك أن تفهم انك كنزي
التمين وجزيرتي المشمسة المرجانية لمجرد انني أرتاح لك .. لوجهك القوي
الحنون .. ليدك الكبيرتين العجيبتين .. عجيب ! كل ما فيك عجيب !
والجزء الذي تخلفه حولك عجيب والطريقة التي تدخن بها لفاقتك - وكأنك
تضم امرأة - عجيبة .. واحسامي تجاهك أعجب ما في الأمر ..
أمني أن تكون بجانبتي، فأنا أتوق للحريق بين الشفتين .. أن ترعاني
وتبسم لي ، أن أقول لعينيك بكل جرأة دون أن أخشى فقدانك :
« لست طفلة كما تعتقد ، اقرب مني أكثر ، فما زال في المرآة نيران
لم تجربها .. لم تكتشفها نظراتك الخيرة ، اقرب لأعلمك ، أنا الطفلة ،
كيف تكون المرأة الحقيقية حينما تحب بصدق .. » ويوم تعود يا صديقي ..
يوم تعود .. سأمد لك يداً ميتة لأصافحك .. وسأحرق في وجهك المعبود
بعينين زجاجيتين .. وقد أجد بعض الشجاعة لأردد عبارة تقليدية (الحمد لله
على السلامة) .. وسأقول في نفسك « يا لها من طفلة باردة الاحساس ..
ذهابي وعودتي لديها سواء .. سأنتظر حتى تكبر .. »
وستكبر الجراح يا سيدي .. ويزيد صمتي حتى تكبر أنت .. وتسمع
النداء الأخرس المحموم .. وتفهم كيف تحب المرأة بطفولتها ..

فهرست

٧	مقدمة
٩	لأنني أحبيتك
١٢	في عتق الزجاجة كان لقاءنا
١٧	كان يا ما كان حب
٢١	لأن الحرية خبز العجور
٢٣	شيء اسمه الحب
٣٠	يا غريبي
٣٤	لو لم يصوّب طفلك مسدسه الى عيني
٤٠	لسامير صليبي أغني الليلة
٤٤	وأغمدت نفسي في خنجرك
٥٠	أتمدلك بمحبي
٥١	يا حزننا الآتي
٥٣	حبنا شطرنج بالمراسلة
٥٨	لا شفاء منك

- ٦٠ أنوثتي ليست حصان طروادة
- ٦٤ كل وجه يعذبني
- ٦٦ لماذا أيها الشقي
- ٧٠ حين سرقوك من بين ذراعيّ
- ٧٣ شهقة في سيمفونية ليل الغرباء
- ٧٦ أنت ومدنيتي
- ٨٠ فوق الثلوج
- ٨٢ أعياد فتاة عمياء
- ٨٦ وتمر الأيام يا غريب
- ٩٠ كلمات دافئة
- ٩٣ كنت أتمنى يا زوجها .
- ٩٦ يوميات فتاة مريضة
- ١٠٢ وجهك الغامض زهرة الليل الوحشية
- ١٠٥ دهاليز لا شمس فيها
- ١٠٨ آه يا صديقي الحبيب بردى
- ١١٢ الى مليونير تافه
- ١١٨ رسالة الى « لا أحد »
- ١٢١ أمي يا لؤلؤة لن تعود
- ١٢٤ ما في حدا لا تندهي ما في حدا
- ١٢٨ دع المساء الحريفي ينسكب في فجوات العيون المتعبة
- ١٣٢ لأن أراني البيض ماتت
- ١٣٥ وجدت حقيقة في أن تذوب « الأنا » في « نحن »

١٣٨	تبدأ الحياة حينما يبدأ الصراع
١٤٠	عدت إليك بأهدابي المتكسرة
١٤٢	حتى تظل نجمة
١٤٥	يا صائد المرجان
١٤٨	خلود اللحظة باستفادها
١٥٢	حب طفولي

نشرت محتويات هذا
الكتاب في الصحف التالية

الأخبار السورية	الحوادث اللبنانية
» الوحدة	» الاسبوع العربي
» النصر	» البريق
» العلم	» لسان الحال
» صوت العرب	» الجمهورية
» الأيام	» الأحد
	» شهرزاد



31-134
30-134
30-134